عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 120 / 1 تموز 2018

دوار المدلجي – مدينة دير الزور
تموز 2018 - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

البلاء العظيم والمستحيل السوري

«إنّها البلاء العظيم»

هذا ما كان قطّاع واسع من الفرنسيين يصفون به الثورة الفرنسية في إحدى مراحل الذروة خلال قيامها.

وبينما يكتفي البعض في أيامنا بصورتها كأحد أهم التحولات التحررية في تاريخ البشرية، فإنّ مؤرخين مرموقين يمعنون النّبش في تفاصيل ستبدو مرعبة لمن لايعرف حقيقة ماحدث آنذاك؛ فقد قُتل مئات الألوف، وتشرّد أضعافهم، ونُهبت وأُحرقت قرى وإقطاعات، وارتُكبت مذابح مروعة، وسادت حالة يأس اجتماعي قاسية وقاتمة.

ومع أنّ فرنسا، التي نعرفها اليوم، تشكّلت ببطء وعبر تحولات متكررة وعنيفة، فإنّ أثر الثورة لم يقتصر عليها وحدها، فقد أطلقت الثورة شرارة ما عرف بـ "ربيع الشعوب" وهو حقبة دامية مُتخمة بالوحشية والفظائع، اشتقّ منه اسم "الربيع العربي"؛ وساهم التسطيح الإعلامي في تحويله إلى مُقاربة شاعرية للربيع في سوريا وغيرها.

لا تحدثُ الثورات بسهولة، ولا تُحققّ نتائجها بمجرد حدوثها، بل إنّ التجارب الفاشلة أكثر بكثير من تلك الناجحة، غير أنّ ما من ثورة تركت مجتمعاً كما هو، إنّها انفجار قوى كامنة ومضغوطة إلى حد أنّها تُشتت أهدافها حين تحدث، وهي تُنتج إمكانيات ما كان لها أن تكون لو لم تحدث.

لا داعي للذهاب إلى فرنسا كنموذج من أجل فهم قوة ما تُحدثه الثورات، سوريا وما حدث فيها يكفيان كدلالة.. هل كان من الممكن أن تقرأ مثل هذه الافتتاحية في مطبوعة سورية قبل ثمان سنوات؟ هل كنا نستطيع كتابتها؟ هل كانت "عين المدينة" وغيرها من الصحف التي بين يديك لتكون أمراً ممكنا بأي صورة لولا الثورة؟

نظام "الحيوان" منتصر الآن؛ هذه تظهر كحقيقة عيانية ولن ينفع الادّعاء بالعكس، غير أنّ ما هو وقتي بالنسبة للثورة، وقتي عليه أيضاً، والتحولات التي أحدثتها الثورة لن يكون قادراً على عكسها أو شطبها. وقوة النظام الحقيقية كانت عبر 41 عاماً هي في تكريس "استحالة الثورة"، وهذا المستحيل قد حدث.

وإن كان صحيحاً "الآن" أنّ الخيارات العسكرية لم تنجح، وأن السياسة معطّلة تحت هول القصف والمذابح، فإن هذا لن يكون صحيحاً "دائماً"، لأن "الحيوان" فقد قوته، وهو مهزوم في أصل مشروعه، وأضعف -مهما ادعى- من أن يقدر على ديمومة الانتصار.

3 في مدينة دير الزور حيث يُسمح بشتم الميليشيات والمسؤولين الصغار

4 القطاع الصحي في مدينة ديرالزور بيد العصابات

5 تفشي الدّعارة في مدينة الحسكة، بحماية قائد ميليشيا "الدفاع الوطني"

6 هل تسلّم "قسد" مناطق سيطرتها للنظام؟

9-8 فيلق الرحمن ودعائم المرحلة الجديدة

10 "سواعد الخير" حسبة "تحرير الشام" في إدلب

17 إيران بعد انهيار الاتفاق.. ثمن مضاعف لوهم الهيمنة

19 نزار الأسعد من سنوات الجوع إلى الشبع

من أرشيف المجلة

في مدينة دير الزور حيث يُسمح بشتم الميليشيات والمسؤولين الصغار والمحافظ

علي برهان

يُقدّر ناشط في جمعية خيرية طلب إغفال اسمه لـ عين المدينة، عدد العائلات النازحة التي عادت إلى دير الزور، بعد إصدار وزارات النظام ما يُعرف بقرار "فك الارتباط" الذي أجبر الموظفين النازحين على العودة، بـ (20) ألف عائلة، جاء معظمها من مدن خاضعة لسيطرة النظام.

ضاعف النازحون العائدون إلى دير الزور من عدد سكان الأحياء الثلاثة المأهولة (الجورة -القصور-هرابش) ورفع من بدلات استئجار المنازل فيها، لتُفضّل مئات العائلات أن تسكن منازلها طالما بقي هيكل المنزل وجدرانه قائمة، وبالرغم من انقطاع مياه الشرب والكهرباء والاتصالات. ويروي كثير من العائدين قصص معاناة اقتصادية وأمنية ونفسية، عاشوها في رحلة النزوح، قبل أن تبدأ معاناة أخرى في ديارهم بعد العودة.

في جولة في الأحياء المدمرة، التي سيطر عليها النظام في مدينة دير الزور، يُشاهَد من حارة إلى أخرى كهولاً ونسوة وشباناً جاؤوا يتفقدون منازلهم. وتُعلن الأغلبية منهم تبدد الأمل بأن يكون شيء ما في ذاك المنزل قد بقي على حاله. فمن كان محظوظاً بنجاة بيته من التدمير، يشكو من سرقة كل ما فيه، من الأثاث، الأبواب، الشبابيك، حنفيات المطابخ والحمامات، والسيراميك، وحتى التوصيلات الكهربائية بانتزاع أسلاك النحاس من أنابيبها في الأسقف والجدران.

"هذا بيتنا" يشير رجل في الأربعين من العمر إلى كومة حجارة طينية في حي الحميدية، ويوقفنا لبثّ شكواه من دون سابق معرفة. "بعد ما ماتت حبابة (أمه) تركناه، ما أعطيناه لمتعهد يطلع بيه بناية"، ويقول آخر أن صاروخاً دمر نصف منزله وخلخل الأعمدة والجسور في النصف الثاني، ويجزم بضرورة هدم البيت كله ليُبنى من جديد، قبل أن يلعن المتسببين "دمروا البلد هالعرصات" قاصداً الثوار، وكالعادة تأتي اللازمة "ليش ما انقصفت الجورة والقصور!"، حيث نزح إلى الحيين صيف العام 2012، وظل هناك لعامين كاملين قبل أن يُغادر إلى دمشق، ومن دون أن يسيء له أحد، أو يسأله أحد "وين الطريق؟" حسب ما زعم متذمراً من السلوك المتغطرس لـ "عجيان الدفاع الوطني".

يتمتع مؤيدو النظام بقدرة كبيرة على الإنكار، إنكار الفاعل الرئيسي الذي دمّر البيوت أو نهبَها، ويُبدي حتى من فقدوا إخوة أو أبناء أو أقارب رفضهم تحميل النظام أي مسؤولية عن الكارثة الكبيرة التي حلّت بدير الزور، وعلى الدوام يجدون ما يبررون به سلوكه الإجرامي. يُجادل كمال (اسم وهمي) -وهو موظف نزح إلى مدينة الحسكة وأُجبر على العودة مؤخراً ليستأنف وظيفته "الحكومية" تحت التهديد بالفصل- دفاعاً عن النظام، رغم مقتل شقيقته وأطفالها بغارة جوية، واعتقال شقيق آخر منذ (5) سنوات، ورغم تدمير الشقة الصغيرة التي تملّكها كـ "شقا عمر" في حي الموظفين، ويُحيل الانفلات الأمني وغطرسة عناصر الميليشيات إلى خلل "بأنفسنا احنا"، مستشهداً على ذلك بأن معظم عمليات السرقة قام بها منتسبون محلّيون إلى الميليشيات، التي يأمل أن تُحلّ قريباً ليبقى السلاح بيد الجيش والأمن والشرطة فقط.

فئة أخرى يُسمح بشتمها علانية، هي فئة مديري الدوائر الحكومية الصغار، الذين يتحملون حسب ما يرى مؤيدو النظام، مسؤولية انقطاع مياه الشرب والكهرباء ورداءة الاتصالات وتردّي الخدمات الصحية، وتأخّر تنظيف الشوارع من الركام، وتروج أنباء عن صفقات مشبوهة، عقدها هؤلاء مع مقاولين فاسدين، لتنفيذ مشاريع وهمية بعشرات ملايين الليرات. ومن الشائعات المثيرة للاهتمام، شائعات عزل مُرتقب لمسؤول محلّي ما وإحالته إلى القضاء، واكتشاف عقارات وأراض، وأحياناً أرصدة بنكية في الخارج مسجلة باسمه، أو اسم زوجته المقيمة في دمشق ولم تطأ قدماها دير الزور منذ (6 سنوات)، حسب ما ترصد معظم الشائعات، ودون أن تربط هذا الفاسد بحاميه من ضباط المخابرات أو المسؤولين الأرفع مرتبة في دمشق، أو وضع ذلك ضمن سلسلة نتائج ممارسات سلطوية لا تنتهي.

وعلى فيسبوك الأحياء المأهولة الثلاثة، تنشط صفحات محلية تُعبّر عن ذات الجو العام، لكن مع سقف أعلى للشتم. فبأوامر من أجهزة الأمن، بدأت الصفحات الإعلامية التابعة لها بانتقاد المحافظ، واتّهامه هو الآخر بالفساد، رغم الزخم والدعاية المرحّبة به قبل أشهر قليلة فقط.

مديرية الصحة في دير الزور

القطاع الصحي في مدينة ديرالزور بيد العصابات

ومدير صحة النظام يُتاجر مع الميليشيات بالأدوية المسروقة من مستودعات الريف

يُعاني قطاع الصحة العام في مدينة دير الزور الخاضعة لسيطرة النظام من حالة انهيار يُعبّر عنها النقص الحادّ في الكوادر الطبية وفي المعدات والتجهيزات الأساسية.

د. حسام جابر

بحسب أحد العاملين في (مشفى الأسد)، وهو المشفى العام الوحيد فعلياً في دير الزور، فإن صيدلية المشفى تفتقر إلى الكثير من المواد والمُستهلكات الطبية الأساسية لعمل أي مشفى: القفازات الجراحية، أكياس الكوليستومي، أكياس نقل الدم، عدّة الجراحة، لوازم غرفة العمليات. إضافة إلى ما تُعانيه المشفى من تردٍّ في شروط النظافة والتعقيم، حيث صارت أكوام القمامة والقطط الشاردة بين الغرف مشهداً مألوفاً.

ويُفسّر طبيب أخصائي، طلب إغفال اسمه، انهيار الخدمات الصحية في مدينة دير الزور بالفساد والإهمال، فصار الطبيب ضحية أيضاً مثل المريض في هذا الواقع، ويعتبر الطبيب المذكور نقص الكوادر والتجهيزات مشكلة يمكن التغلب عليها، في حال توافرت إرادة ونوايا صادقة لدى القائمين على القطاع الصحي.

يؤكّد موظف في مديرية الصحة، أن مديرها عبد نجم العبيد يُنفّذ عقود شراء وهمية بالتعاون مع مُورّدين ومُقاولين فاسدين، وبحسب الموظف اشترى العبيد وبأسعار بخسة بالشراكة مع صيادلة آخرين، في شهر كانون الأول الماضي، حمولة شاحنتي أدوية، من قائد إحدى الميليشيات، كان عناصره قد سرقوها من مستودعات أدوية خاصة في ريف دير الزور الشرقي، ثم أُعيد بيع هذه الأدوية لمديرية الصحة بأسعار السوق.

يقول صيدلي يعيش في مدينة ديرالزور إن (30 %) من المجموعات الدوائية التي يفترض توافرها في كل صيدلية، غير موجودة في معظم صيدليات دير الزور، وتُوجد فقط في صيدليات يرتبط أصحابها بالأجهزة الأمنية التي تُسهّل أعمالهم، حسب ما يقول. وتُضيف التكاليف المرتفعة لنقل الدواء إلى دير الزور من سعره على المرضى.

لم تلعب نقابة الأطباء، التي أعادت لملمة صفوفها وافتتحت مقراً في مدينة دير الزور، أي دور إيجابي، حسب ما يرى الطبيب، بل إن نقيب الأطباء شوقي غازي وأعضاء نقابته يبدون مثل غيرهم في مديرية الصحة غير مُكترثين البتّة بالوضع المأساوي للمرضى وللأطباء أيضاً، وتُسجّل في كل شهر حالات وفاة نتيجة لهذا الوضع، حيث سُجّلت حالتان في الشهر الماضي لمريض قلب ومريض ربو تأخرت سيارة الإسعاف في نقلهما إلى المشفى، ما تسبب بموتهما قبل أن يصلا إليها.

يسخر الطبيب من الدعاية التي يبثّها إعلام النظام في مدينة دير الزور، ومن حرص مدير الصحة عبد نجم العبيد على التقاط الصور في افتتاح مراكز صحية وهمية لم تستقبل مريضاً واحداً بعد الافتتاح. ومن يُتابع صفحة المديرية على موقع فيسبوك، يدرك ضآلة الخدمات المُقدّمة من قبل المديرية التي تتباهى بعلاج حالات الجرب ومكافحة القمل في المدارس، وبصيانة جهاز قديم لتفتيت الحصى في (مشفى الأسد).

يُقدّر عدد سكان مدينة دير الزور اليوم ب (200) ألف نسمة، تعمل فيها مشفى عامة واحدة -الأسد- و(4) مراكز للرعاية الصحية الأولية، تُقدّم خدمات طبية بدائية. وحسب المعايير الصحية الدولية، فإن كل (5) آلاف شخص يحتاجون لمركز رعاية ثانوي، وكل (30) ألف يحتاجون لمركز رعاية رئيسي، ما يكشف عن النقص الكبير في عدد المراكز المفترض تشغيلها في المدينة، وعن المستوى المتدنّي الذي وصلت إليه الخدمات الصحية العامة، لا سيما وأن مراكز الرّعاية الصحية الأولية هي اللبنة الأساسية في هذا القطاع، وبمقدار توافرها يكون قطاع الصحة في وضع قابل للتطوير.

ولا تبدو الصورة في القطاع الخاص بأفضل منها في العام، حيث تفتقد دير الزور (مدينة وريفاً)، في الجزء الخاضع لسيطرة النظام، لأي مشفى خاص، ويندر وجود الأطباء الاختصاصيين، ما يدفع بالمرضى للسفر إلى دمشق أو حلب لإجراء عمليات جراحية بسيطة كانت تجرى بصورة روتينية في أي مشفى خاص أو عام في مدينة دير الزور، أو مدن الميادين والعشارة والبوكمال.

متداولة على الإنترنت لميليشيا الدفاع الوطني

تفشي الدّعارة في مدينة الحسكة بحماية قائد ميليشيا «الدفاع الوطني» وضباط

زين العبود

في مساء اليوم الأول من عيد الفطر، يتجمّع يافعون في عمر الخمس عشرة بالقرب من بيوت ذويهم في الحارة القريبة من مركز مدينة الحسكة الخاضع لقوات النظام وميليشياته، وهناك يتداولون أمراً يظهر أنه سريٌ ومهمّ، من خفوت أصواتهم على غير العادة. يفضح أمرهم قريب أحدهم حين يُقبل من نهاية الحارة، ليذكرهم بصوت خشن، وبنوع من المزاح والتواطؤ، أنه يعرف السبب الذي دفعهم لدخول تلك العمارة.

إلى جانب قطع عسكرية في جبل كوكب القريب، ما زالت قوات النظام وميليشياته تسيطر على مركز مدينة الحسكة، عاصمة المحافظة، التي تضم الأبنية الحكومية وأفرع أجهزة الأمن التابعة للنظام وسوق المدينة. وعند دوار الساعة هناك، تقع العمارة التي قصدها اليافعون في العيد، وفيها بيت مؤلف من أربع غرف، تُقيم فيه امرأة أربعينية ومعها أربع فتيات بأعمار (15، 25، 27، 32) يعملن في الدعارة، لكن بأجر ثابت موحد قدره (5000) ليرة سورية، وتصنع المسؤولة خصماً لمعارفها أحياناً أو معارف أحد الضامنين لهذه البيوت.

في السنوات الماضية ازداد عدد البيوت الشبيهة بهذا البيت، تتوزع في المنطقة التي يُسيطر عليها النظام بمساحة لا تزيد على (3) كم2 وسط المدينة. تحظى هذه البيوت بحماية من ضباط أمن وشرطة، ويعمل بعض العناصر مباشرة ضمن شبكات الدعارة. كحال الشرطي (أبو ساكو)، الذي يقوم باصطياد الزبائن في (كافيه النزهة)، رغم أنه (لاداعي الآن للسماسرة فهذا الأمر متاح للجميع!) كما يقول صاحب محل قريب من أحد البيوت، لكن الحماية ضرورية، وتلك المضمونة التي يطمح إليها كثر في هذه المهنة تؤمّنها ميليشيا الدفاع الوطني في الحسكة، خاصة حين يبرز محتجون ذوو شأن على أحد البيوت.

وفي عمارة أخرى وسط شارع فرعي عن شارع المحطة؛ تشاجر مُستأجر جديد لإحدى الشقق وزوار شقة مقابلة، إثر ارتياب المستأجر بتصرفات زوار البيت الكثر وبأصحابه. وقف الجيران مع المستأجر الجديد بتردد، قبل أن يتبينوا أنه عنصر أمن، ثم ساندوه في "بهدلة" من في البيت بعد ذلك، حين أخرج بندقيته وأطلق منها لطرد الزوار "غير المحتشمين". كانت الحادثة هي الأولى من نوعها لاعتراض سكان العمارة على بيت الدعارة المفتتح بين بيوتهم، بدعم وحماية من عبد القادر الحمو قائد ميليشيا "الدفاع الوطني" في الحسكة.

سوّيت المشكلة بنقل البيت إلى عمارة مجاورة، بعد تدخل الحمو، الذي يحلّ المشكلات المتصلة بالشبكات التي يرعاها، أما عن المقابل لتلك الحماية، فليس هناك إمكانية لتحديد ذلك تماماً، لكن سبباً مادياً بالتأكيد يقف وراءه، فهي (تجارة مربحة وسريعة)، تحقّق دخلاً (جيداً) لجميع المشتركين فيها، من (عاملات) و(قوادين) و(ضامنين) كما يحلّل عادةً. وتظهر سطوة الحمو وقدرته على حماية (جماعته) من التنافس بين تلك البيوت على استقطاب الزبائن، لأن أي تنازع في هذا المجال يُحلّ لصالح (جماعة الحمو).

موجة النزوح الكبيرة وتردي الأوضاع المعيشية كانتا سبباً رئيسياً دفع نساء إلى اللجوء لمثل هذه (المهنة).. "إي مهنة" كما تقول إحدى العاملات، وتتابع أنها كانت بحاجة مادية بداية الأمر، ولكنها الآن لم تعد كذلك، فاليوم تجني من العمل أموراً معنوية عدة فهو "يعرفني على ناس كل يوم، وأنا أختار" حسب المكانة الاجتماعية للشخص ومقدار ثروته وتمتّعه بالدعم، وحسب نوع سيارته مرات أيضاً، كما تشرح المرأة التي تُفكر بافتتاح بيت جديد بحي آخر تكون هي المديرة فيه، مُستفيدة من حماية أحد الضباط -رفضت أن تسميه-.

وبعكس الأخريات اللواتي اخترن العمل بأنفسهن، وبضغط من عوامل اقتصادية، فإن رنا (اسم مستعار لفتاة نازحة من الشمال السوري) التي لم تتعدّ سن المراهقة بعد، بدأت (مهنتها) هذه بليلة مع ضابط برتبة ملازم تخاف أن تذكر اسمه، قبل أن تتكرر حوادث مشابهة، دفعتها للسقوط نهائياً في هذا العالم "الأسود" كما تقول من غير اكتراث، لكنه "مربح جداً" بوارد يقترب من (20) ألف ليرة كل يوم، يذهب نصفه لمعلمتها وللضابط الذي يرعاها، ويبقى لها النصف الآخر.

عبد القادر الحمو

الحماية التي تؤمنها الميليشيات، خاصة، لتلك البيوت جعلت الصمت سيد الموقف في المنطقة المشهورة بمحافظتها اجتماعياً، باستثناء اعتراضات لا تخصّ المهنة بحد ذاتها، فبحسب ما يُروى عن إمام مسجد الهدى أنه نصح إحدى العاملات (ليش يابنتي هيك لابسة! حرام عليكي لساتك زغيرة، والحكي يكثر عليكي) أثناء خروجها من بيتها، لكن أحد الرجال الذين يقفون مقابل البيت وضع له حداً عندما وصفه بالتخلف والرجعية. لم يستطع الإمام الردّ، فماسورة المسدس على خصر الرجل كانت كفيلة بإنهاء الحديث.

هل تُسلّم «قسد» مناطق سيطرتها للنظام؟

عدنان الحسين أثار مقطع فيديو نشر على مواقع التواصل الاجتماعي الأسبوع الفائت ضجة وسخطاً كبيراً من أهالي مدينة الرقة ومن ناشطيها على قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، حيث يُظهر الفيديو رتلاً عسكرياً للقوات يسير في أحد شوارع الرقة ويهتف لجيش نظام الأسد.

المقطع الذي تمّ البحث في ماهيته، وبحسب المصادر من مدينة الرقة، تبين أنه (مفبرك)، إذ تمّ إدخال الصوت على الفيديو من قبل أحد المارين، الذي قام بتصويره، لكن المقطع برغم ذلك أحدث ردّة فعل كبيرة لدى الأهالي والناشطين والمتابعين للوضع شرق الفرات، وحرّك الشكوك حول مصير مدينة الرقة التي عادت إلى الواجهة من جديد، بعد تسريبات عديدة كان أبرزها عقد اتفاق بين الإدارة الذاتية ونظام الأسد.

على أن الأمر لم يعد مُقتصراً على التسريبات والإشاعات بالنسبة إلى المتابعين، إذ يبدو مصير الرقة حقاً قد بات مجهولاً، بعد تمكّن الوحدات الكردية (العامود الفقري لقوات قسد) من القضاء بشكل شبه كامل على لواء ثوار الرقة، الفصيل الوحيد الذي ظلّ يُعبّر عن المجتمع الرقاوي وحافظ على تبعيته للجيش الحرّ بعمله مُستقلاً عن تشكيلات قسد، حتى وقت محاصرته ثم مهاجمته من قبل الوحدات.

وبالفصل بين الإشاعات المتداولة ومسيرة لواء ثوار الرقة في ظل قوات تضمّ العديد من القوى القومية المتعصبة؛ فإن القضاء على لواء ثوار الرقة تقف خلفه أسباب عديدة، منها ما هو قديم متعلق باللواء ويعود لمشاركته بمسماه القديم (الفرقة 11) في الهجوم على مواقع الوحدات الكردية في مُحيط تل أبيض؛ ومنها ما هو متجدّد ومتعلّق بالوحدات التي عبّرت بالهجوم عن خوفها من تشكيل كتلة مستقلّة لأبناء الرقة تلتفّ حول اللواء، ثم تُصبح قوة يمكن أن تهدّد مشروعهم في الرقة ومحيطها، خاصة أن ذلك جاء بعد المظاهرات الأخيرة التي خرجت في المدينة ضد (قسد)؛ إلا أن أحد أهم الأسباب، وبحسب تسريبات من مصادر محلية، هو أن حلّ اللواء جاء كأحد أهم مطالب مسؤولي نظام الأسد ضمن الاتفاق الذي لازال سريّاً مع الإدارة الذاتية، بحسب التسريبات، كون اللواء لازال يحمل علم الثورة السورية، ويرفض عودة نظام الأسد للرقة.

الاتفاق الذي نشرت عنه عديد الصحف والمواقع الإخبارية، يشمل دمج الوحدات الكردية بجيش النظام، ويعتبر خدمتهم السابقة من ضمن الخدمة العسكرية الإلزامية، كذلك جعل المناطق الخاضعة لنفوذ الوحدات مناطق إدارة لا مركزية تتبع لحكومة دمشق، واعتماد اللغة الكردية لغة رسمية في الدولة؛ في مقابل إزالة كافة الصور والشعارات الخاصة بحزب العمال الكردستاني والإدارة الذاتية من مناطقها شرق سوريا، وإقامة حواجز مُشتركة للطرفين وعودة الدوائر الحكومية وشعب التجنيد للمناطق الخاضعة لسيطرة قسد، والأهم في الاتفاق تسليم حقول النفط مقابل وضع وزير نفط كردي من الإدارة الذاتية.

وبالفعل باتت تظهر للعلن بعض بنود هذا (الاتفاق) على أرض الواقع؛ فالإدارة الذاتية باشرت الأسبوع الفائت بإزالة الصور والشعارات الخاصة بها، بينما جاءت تصريحات ألدار خليل القيادي البارز في صفوف الوحدات لتفسر الأمر بأنه "يأتي في سياق بند التطوّر وتنظيم الأمور وتعديلها بدقة أكثر".

ورغم أن الحديث عن (الاتفاق) بين الطرفين يشمل محافظة الحسكة فقط، إلا أن محادثات جرت في مدينة الطبقة ودبسي عفنان -بعد افتتاح معبر بين الطرفين- بهدف عودة بعض دوائر النظام للعمل في محافظة الرقة، وهو ما ينذر بأن مناطق الإدارة الذاتية كافة ستُواجه مصير عودتها لنظام الأسد في حال تمّ (الاتفاق) بين الطرفين.

ورغم أن قوات قسد بدأت عملية التفاوض بعد تهديدات بشار الأسد الأخيرة في تصريحات تلفزيونية، إلا أن هناك دوافع أخرى غير التهديدات قد تكون دفعت الوحدات إلى التفاوض. فخسارة مدينة عفرين، إحدى أبرز معاقل الوحدات الكردية في سوريا، وسيطرة القوات التركية والجيش الحر عليها، دقّ ناقوس الخطر لدى الإدارة الذاتية التي باتت ترى في واشنطن حليف مصلحي وقتي، وأن أي اتفاق معها قد يُواجه مصيراً مشابهاً لمصير عفرين أو منبج بالحدّ الأدنى، لتصبح بالتالي العودة لنظام الأسد أقل خطراً -بالنسبة إلى الوحدات- من دخول القوات التركية والمعارضة لشرق الفرات، والقضاء على حلم الفيدرالية التي يُفكرون في استمراريتها.

لم تعلّق القوات الأمريكية أو التحالف الدولي على التسريبات أواللقاءات المستمرة بين مسؤولي نظام الأسد ومسؤولي الإدارة الذاتية، في ما يبدو أنه مراقبة عن كثب لكل ما قد يُصبح مقدمات لفرصة سانحة لخروج أمريكا من سوريا، خاصة بعد تصريحات ترامب السابقة بالانسحاب منها قريباً.

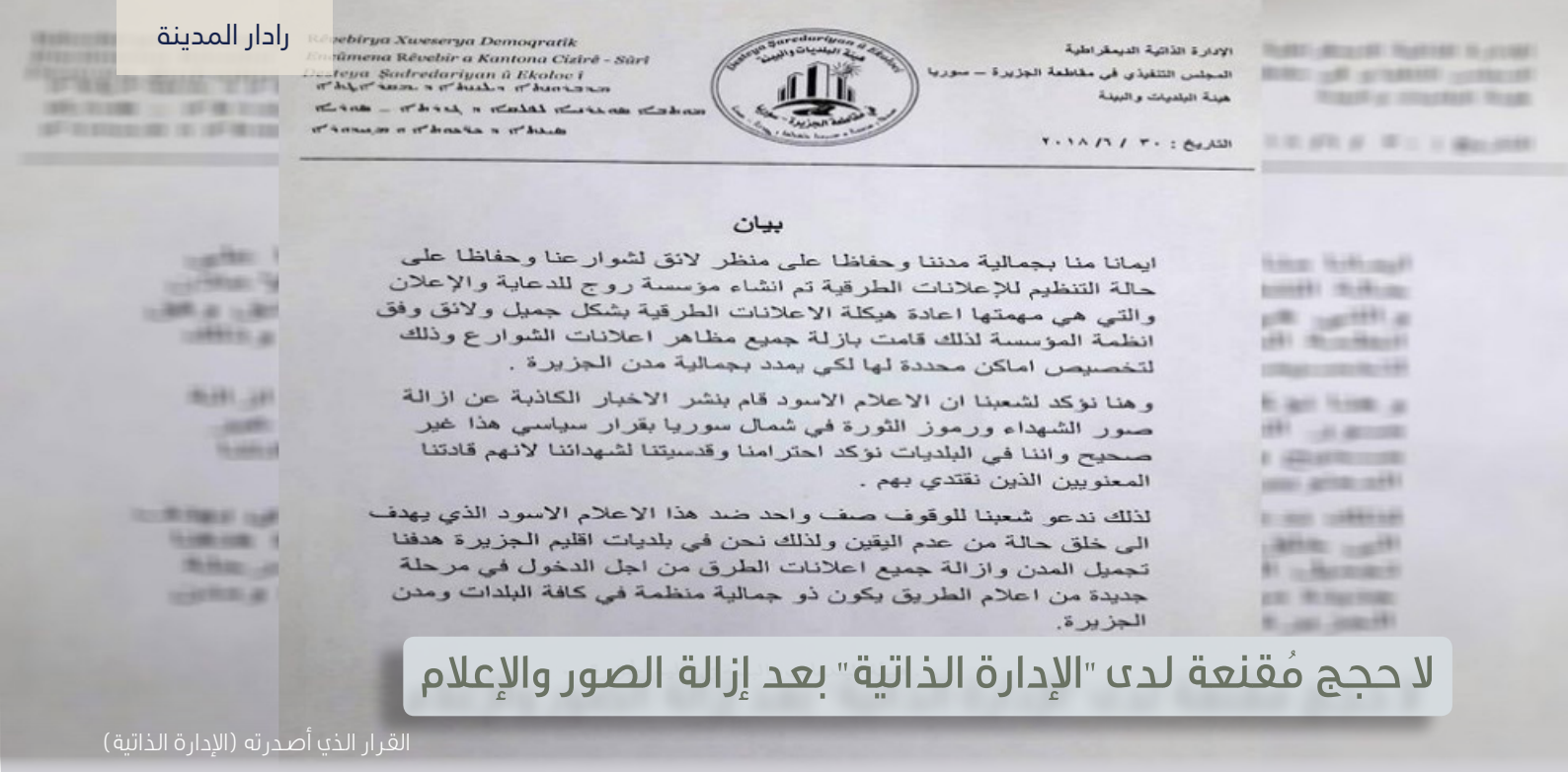

الإدارة الذاتية الديمقراطية
المجلس التنفيذي في مقاطعة الجزيرة – سوريا
هيئة البلديات والبيئة

التاريخ : ٣٠ / ٦ / ٢٠١٨

بيان

ايمانا منا بجمالية مدننا وحفاظا على منظر لائق لشوارعنا وحفاظا على حالة التنظيم للإعلانات الطرقية تم انشاء مؤسسة روج للدعاية والإعلان والتي هي مهمتها اعادة هيكلة الاعلانات الطرقية بشكل جميل ولائق وفق انظمة المؤسسة لذلك قامت بازلة جميع مظاهر اعلانات الشوارع وذلك لتخصيص اماكن محددة لها لكي يمدد بجمالية مدن الجزيرة .

وهنا نؤكد لشعبنا ان الاعلام الاسود قام بنشر الاخبار الكاذبة عن ازالة صور الشهداء ورموز الثورة في شمال سوريا بقرار سياسي هذا غير صحيح واننا في البلديات نؤكد احترامنا وقدسيتنا لشهدائنا لانهم قادتنا المعنويين الذين نقتدي بهم .

لذلك ندعو شعبنا للوقوف صف واحد ضد هذا الاعلام الاسود الذي يهدف الى خلق حالة من عدم اليقين ولذلك نحن في بلديات اقليم الجزيرة هدفنا تجميل المدن وازالة جميع اعلانات الطرق من اجل الدخول في مرحلة جديدة من اعلام الطريق يكون ذو جمالية منظمة في كافة البلدات ومدن الجزيرة.

لا حجج مُقنعة لدى "الإدارة الذاتية" بعد إزالة الصور والإعلام

القرار الذي أصدرته (الإدارة الذاتية)

كدر أحمد

لا صور لـ"القائد" ولا رموز للأحزاب في شوارع مدن شمال شرق سوريا بعد القرار الذي أصدرته (الإدارة الذاتية) في المنطقة بمنع رفع رموزها وصور قتلى في وحداتها العسكرية وصور عبد الله أوجلان المُعتقل في تركيا.

القرار جاء، بحسب ما أعلنت وسائل إعلام سورية، تمهيداً لعودة قوات وسلطات النظام السوري إلى مدن شمال شرق سوريا، بعد أن انسحبت الأخيرة من المنطقة منتصف عام 2012 بدون أي معارك تُذكر. وعلى الرغم من أن مسؤولي الإدارة فسّروا القرار بأنه يدعم (ناحية جمالية)، ولكنه، وإن اختلف الأطراف بسبب توقيت إصداره ونظام الأسد يُحاول مدّ نفوذه على مساحات سورية جديدة؛ فقد فتح ملفات كثيرة ربما كان أهمها ما كتبه الباحث الدكتور فريد سعدون عبر صفحته الشخصية على فيسبوك حول فعلية سيطرة الإدارة الذاتية على المنطقة.

حيث كتب بأنه "في هذه الأيام كثر اللّغط حول التفاوض على تسليم المناطق التي تحت سيطرة ب ي د (PYD حزب الاتحاد الديمقراطي) للنظام، بل ذهب البعض ومنها مواقع إعلامية إلى أن التسليم قد تم بالفعل، وذكر بعضهم أن ب ي د سلّمت المساجين والمعتقلين للنظام وغير ذلك من الأخبار المستعجلة. أولاً: لا شيء بالمطلق تم تسليمه للنظام. ثانياً: ليس هناك أي اتفاقية أبرمت بين الطرفين. ثالثاً: لم تبدأ (المفاوضات السياسية) الرسمية بين الطرفين بل هي لقاءات واقتراحات ورؤى لـ (الحلّ السياسي) رابعاً: مؤسسات الدولة كانت وما زالت بحوزة الدولة، وما زالت معظمها تؤدي مهامها".

ثم عدّد السعدون ما أسلف ووصفه باستمرار (مهام مؤسسات الدولة) ومنها بحسب المنشور (التجنيد في كامل المحافظة، النفوس (السّجلات المدنية)، المحاكم والسجل العقاري، مؤسسة الكهرباء (يقصد الشركة العامة) بما فيها من سدود ومحطات توليد، مؤسسة المياه ومؤسسة النقل والمواصلات (الاتصالات) السلكية واللاسلكية)، بالإضافة إلى (الجامعة والمدارس التي أغلقتها الحزب في مناطقه، وبذلك حرم غير الكورد من التعليم، المطار والقطعات العسكرية، الأفران والمشفى الوطني، النفط والغاز، البنوك والمصارف ومؤسسة الحبوب التي مازالت تشتري المحاصيل من الفلاحين وتدفع ثمنها بشكل رسميّ عبر البنوك، بالإضافة إلى رواتب الموظفين وتدخّل أفرع الأمن في فصل أي موظف).

ثم يختم المنشور بما يشبه السخرية "بعد كل هذا نريد القول إن كل الأخبار التي تدّعي أن هناك استلام وتسليم هي عبارة عن إشاعات لا قيمة لها".

بينما فتح القرار المجال أمام الرأي العام ليُناقش ملفات كثيرة عالقة منذ تولي الإدارة الذاتية شؤون المنطقة، كان الأولى حلّها قبل البدء بأي (ناحية جمالية)، وتأتي في مقدمة تلك الملفات احتكارها الحياة السياسية ومنع عمل الأحزاب المختلفة. فعمدت الإدارة إلى منع المجلس الوطني الكردي من القيام بنشاطاته وتوصلت إلى إغلاق مقراته بشكل نهائي منذ آذار 2017 واعتقال أعضائه ومُناصريه مراراً، لاعتباره أهم معارضي سياسة (الإدارة) وشمل المجلس أكثر من 15حزباً سياسياً إضافة إلى مستقلين.

الاعتقال المتكرر بات حالة طبيعية بالنسبة إلى السياسيين والنشطاء في شمال شرق سوريا، وعلى رأس قائمة الاعتقالات المتكررة الشخصيات التي لم يتم الكشف عن مصيرها، وتتهم الإدارة بتسليمها للنظام في صفقات تبادل للمعتقلين. وتُعدّ الأكثر غموضاً وإثارة للتساؤل، قضية الضباط الأكراد الثمانية الذين انشقوا عن النظام السوري واعتقلتهم الإدارة منتصف العام 2013ولا يزال مصيرهم مجهولاً. الاعتقالات تلك ختمتها سلطات الإدارة بالقيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني عبد الرحمن أبو في عفرين، والذي يتهمها ذووه بتسليمه للنظام قبيل انسحابها من المدينة.

وحول هذه النقاط تحدث الصحفي زارا سيدا لـ عين المدينة بأن "مسؤولي الإدارة الذاتية لا يمتلكون الشجاعة الكافية للوقوف على أخطائهم المتكررة، إذا لم نأخذ بالحسبان أن تلك (الأخطاء) هي ممارسات ممنهجة، وهم بفعل ذلك يُوسعون الشّرخ والهوّة بين أنفسهم كجهة حاكمة وبين الشعب الذي يعاني من نتائج ذلك. من هنا يمكن الإشارة إلى أن المبررات التي تسوقها الإدارة لإزالة صور وأعلام رموز حزبية مرتبطة بها، حجج واهية، فهي لا يمكنها إقناع (قاعدتها الجماهيرية) المُشبعة بالولاء لما أُزيل، فكيف بمن يقف في الصف الآخر!".

وبعيداً عن السياسة والعمل المدني وتواجد النظام في المنطقة، يتساءل مدنيون عن الوعود التي طرحتها الإدارة الذاتية في تعويض المتضررين من حربها مع تنظيم داعش، ففي مدينة عين العرب (كوباني) لوحدها تفوق نسبة الدمار 70 % من المدينة، ولم يتمّ تعويض أحد من السكان، وكذلك الحال بالنسبة إلى عدم تعويض أصحاب العقارات الواقعة ضمن (متحف المقاومة) الذي أعلنته (الإدارة) في المدينة، وشمل مساحات واسعة مدمرة. بينما اقتصر تحقيق الوعود على إنشاء 16 كتلة سكنية ضمت 138 شقة لتعويض ذوي قتلى الوحدات العسكرية!.

عبد الناصر شمير

فيلق الرحمن ودعائم المرحلة الجديدة

محمد كساح

في 2 نيسان من العام الحالي وصل مقاتلو فيلق الرحمن إلى معبر قلعة المضيق -حيث حملتهم باصات التهجير من أماكن سيطرتهم الأساسية في الغوطة الشرقية إلى الشمال السوري. وقّع فيلق الرحمن الذي يُعتبر أحد أبرز فصيلين كانا يحكمان الغوطة (الفصيل الآخر هو جيش الإسلام) اتفاق تخفيض التوتر في 16 آب 2017، لكن النظام وحلفاءه نقضوا هذا الاتفاق، وشنّ النظام حملة ضخمة استهدفت جميع أماكن سيطرة المعارضة ليتمّ توقيع اتفاقين منفصلين من قبل فيلق الرحمن ثم جيش الإسلام بهدف مغادرة أهل الغوطة نحو الشمال. وهنا بدأت مرحلة جديدة في التّبلور يتناول هذا التقرير تفاصيلها الخاصة بفيلق الرحمن.

الحملة العسكرية المُكثفة على الغوطة ساهمت بشكل كبير وغير متوقع في زعزعة الكيان العسكري لفيلق الرحمن. يقول "وائل علوان" المتحدث الرسمي باسم فيلق الرحمن لـ عين المدينة "لم يكن بحسباننا الخروج من الغوطة نهائياً، وهذا ما كنا نُصرّح به دائماً، لكن في الحملة الأخيرة تعرّضت بعض جبهاتنا لانهيار مُفاجئ. كما أن الحالة الهيستيرية التي شهدتها الغوطة نتيجة القصف وما ترتّب على ذلك من فوضى عارمة اضطرتنا لاتخاذ القرار الأصعب، وهو الخروج من الغوطة لتأمين أرواح من تبقّى من المدنيين".

يُشير مصدر صحفي، طلب عدم ذكر اسمه، إلى أن بداية هذه الفوضى التي سبقت عملية التهجير بفترة تمثّلت في حدوث حالات هجر للسلاح بشكل عام لدى بعض شبان الفصائل، ربما نتيجة لحالة انعدام الثّقة التي تعاظمت عقب بدء الحملة العسكرية الأخيرة للنظام، وطريقة المواجهة التي اتخذتها هذه الفصائل.

كما أن انهماك معظم العناصر والمقاتلين خلال عملية التهجير في عملية البحث عن مأوى وعمل يُعيل أسرهم التي أخرجوها معهم أدى، وفقاً للمصدر، إلى غياب أي تماسك أو حتى لقاء بين العناصر والقيادات. وببساطة "كل ما جرى أن العناصر تُركوا في حال سبيلهم. من يمتلك المال استأجر منزلاً للسكن، والمُعدَم لا يزال يقبع في المخيمات".

في المقابل يتحدث "وائل علوان" عن قيام فصيله فور وصوله إلى الشمال السوري بـ "تأمين من خرج من الأهالي وعائلات المقاتلين، وبالأخص المرضى والجرحى، الذين انتشروا في إدلب وريفها وريف حماة". مؤكداً أن سعيه هذا، يُعدّ "أولوية للفيلق"، استغرق الكثير من الوقت والجهد منذ التهجير وحتى الآن.

أول ما فعله قادة الفيلق عقب وصولهم إلى الشمال هو اختيار أماكن التمركز والإقامة لهم ولعناصرهم. وتعتبر هذه النقطة على درجة عالية من الحساسية بالنسبة للفيلق نفسه ولداعميه، وللفصائل المتعددة المشارب والإيديولوجيات المنتشرة في المنطقة، إضافة للدولة التركية التي تُدير المنطقة بشكل أو بآخر.

ربما من هذا المنطلق؛ اختار الفيلق التمركز في عفرين بريف حلب الشمالي، والتي خضعت مُؤخراً للجيش الحرّ بدعم تركي كبير عقب عملية "غصن الزيتون"، وذلك بهدف تجميع عناصره في منطقة واحدة.

مع أن الهيكل العسكريّ للفيلق لم ينحلّ تماماً، بل تعرض لتآكل وانهيارات جانبية أفقدته حالة الانسجام السابق، إلا أن علوان يُفضل اختيار عبارة "إعادة تأسيس تحت نفس المسمى" خلال حديثه عن الترتيبات الجديدة التي يعمل عليها فصيله "نعتبر الفيلق مشروعاً ثورياً لا يمكن أن ينتهي طالما أن الثورة باقية، وهي ستبقى حتى إسقاط نظام الظلم والجور والاستبداد"، مؤكداً "مبادئ الثورة واضحة لدينا تحت بوصلة الجيش الحر الذي نعتبر مشروعنا جزءاً من تشكيلاته".

مصدر صحفي آخر قال لـ عين المدينة إن فيلق الرحمن في الوقت الحالي يُحاول إعادة بناء الثقة التي فقدها خلال أحداث الغوطة مع مقاتليه وحاضنته الشعبية. لكن هذه الخطوة -بحسب المصدر نفسه- صعبة للغاية، فالوضع في الشمال ليس كما كان داخل الغوطة الشرقية المحاصرة، وبإمكان أي مقاتل الانضمام لمن يرغب من الفصائل الكثيرة الموجودة في أكبر منطقة تخضع للمعارضة، وهذا ما حدث بالفعل، إذ خرجت بعض المجموعات من الفيلق لتنتسب لفصائل أخرى. يُقرّ علوان بهذا الانشقاق، لكنه يرى أن " قسماً كبيراً جداً بقي مع هذا المشروع الثوري". يقول الناشط "حمزة عباس" أحد نشطاء الغوطة المُهجّرين لـ عين المدينة "إن الفيلق يستخدم لتجميع عناصره طريق المال وكسب الولاء وبعض الوعود المعسولة".

إضافة للانشغال بالمهجرين الذي تحدث عنه علوان، والعمل على تجميع جزء كبير من المقاتلين الذين لا يزالون يدينون بالولاء للفيلق أو ممن لم ينتسب لفصيل آخر حتى اللحظة؛ يقوم الفيلق بالتواصل مع العديد من فصائل الشمال السوري وأهمها تلك المنضوية تحت راية الجيش الحر. حيث نشأت علاقة متينة مع ألوية المعتصم (تشكلت بصيغتها النهائية يوم 4 آب 2015، في مدينة مارع بريف حلب الشمالي) التي تحاول من جانبها اجتذاب الفيلق، لزيادة قدراتها العسكرية في مناطق انتشارها الحالية.

> في نهاية العام 2013، أُعلن عن تأسيس "فيلق الشام" باتحاد (17) فصيلاً، كان أبرزها لواء "البراء بن مالك" و"الاتحاد الاسلامي لأجناد الشام"، وتولّى قائد لواء البراء، النقيب عبد الناصر شمير قيادة الفيلق، الذي سيُشكّل في السنوات اللاحقة إلى جانب جيش الاسلام القوة الرئيسية للمعارضة المسلحة في غوطة دمشق الشرقية.
>
> كان شمير، المُتحدّر من مدينة الرستن في محافظة حمص، بطل قضايا عدّة أثارت الجدل حوله، كان أهمها صفقة تبادل الأسرى الإيرانيين أول العام 2013.

إحدى الترتيبات المهمة التي يُجريها الفيلق تمثلت في إقامة دورات تدريبية قال المتحدث الرسمي باسم الفيلق إنها "تندرج ضمن برنامج إعادة صفوف الفيلق". لكن علوان، الذي تحدّث وتواصلَ مع فصائل الشمال وبالأخص ألوية المعتصم، لم يفصح عن أي تفاصيل أخرى، مؤكداً بالقول "ليس بإمكاننا الآن أن نُعلن عن آلية عمل الفيلق الجديدة او تطلعاته المستقبلية".

الحقيقة أن الثقة العامة بالفيلق قد تراجعت إلى حد كبير، بسبب الاقتتال الداخلي والمعارك التي خاضها الفيلق وجيش الاسلام ضد بعضهما البعض، وما أسفر عن ذلك من خسائر بمئات القتلى والجرحى، ومن انقسام سرّع من سقوط بلدات الغوطة واحدة تلو الأخرى بيد النظام. وأضعفت الأنباء التي تتحدث عن مكاسب خاصة أحرزها قادة الفيلق من مصداقيته، حيث أثارت أنباء عن أموال ومشاريع استثمار أنشأها أشخاص مقربون أو تابعون للفيلق، جدلاً كبير في أوساط أبناء الغوطة وغيرهم من السوريين. مثل ما يُقال عن افتتاح مول كبير في مدينة عفرين تعود ملكيته لـ ياسر القادري القائد السابق لـ "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" ثم نائب "أبو النصر شمير" قائد الفيلق، بعد دمج الأجناد بالفيلق، وما يُقال عن شراء قادة آخرين في الفيلق أراض لبناء مجمعات سكنية. لكن أشهر القصص المؤكدة في هذا الشأن، محاولة أشخاص مُقربين من الفيلق، بيع مخطوطات توراتية بمبلغ (2) مليون دولار، قبل أن تُحبط الشرطة التركية هذه المحاولة.

يرتبط مصير فيلق الرحمن بعامل رئيسي هو قدرته على استرجاع ثقة الناس وثقة قاعدة تابعيه وأنصاره به، وبعامل آخر هو مدى نجاعة الدور التركي في تطوير بنية وقدرات الفصائل وتحويلها إلى تشكيلات عسكرية منضبطة.

أثناء خروج فيلق الرحمن من الغوطة - المرصد السوري لحقوق الإنسان

من صفحة سواعد الخير

تسعى هيئة تحرير الشام في إدلب إلى فرض سطوتها والتدخل في شؤون المشافي والمدارس والجامعات عبر جهاز (سواعد الخير) أو ما يُعرف بـ "الحسبة" أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي بات يسيطر على دائرة الأوقاف في المدينة، ويضمّ رجالاً ونساء من جنسيات عربية ومنها سورية متخصصة في مجال الدعوة الدينية والإصلاح الاجتماعي، وتتجوّل في الشوارع بدعم من كتائب أمنية تابعة لتحرير الشام لفرض قوانينها قسراً والسيطرة على كامل تفاصيل الحياة، كمتابعة الحجاب واللباس الشرعي ومحلات التدخين والأغاني والاختلاط وغير ذلك.

«سواعد الخير» حسبة «تحرير الشام» في إدلب

سونيا العلي

أبو الحسن من مدينة إدلب (أحد عناصر هيئة تحرير الشام) أعادَ سبب تشكيل جهاز سواعد الخير إلى حاجة الناس بشكل دائم إلى نظام يسيرون عليه، وسلطة لتنفيذ هذا النظام، لذلك "تم تشكيل جهاز سواعد الخير الذي يعمل وفق أحكام الشريعة بهدف الرقابة الشرعية على كافة مفاصل الحياة، لتوعية الناس وضبطهم وردّهم إلى ما فيه صلاحهم من خلال الحملات والندوات ومراقبة كافة المؤسسات التعليمية والطبية".

بالمقابل يشتكي معظم أهالي إدلب وريفها (لهيئة تحرير الشام نفوذ كبير داخلها) من ممارسات المجموعة وقوانينها المتشددة والخانقة التي تُشارك ظروف الحرب في التضييق عليهم.

سليم من ريف إدلب (انشق عن هيئة تحرير الشام بسبب خلافاتها واقتتالها المتكرر مع بقية الفصائل) تحدّث لـ عين المدينة عن ممارسات سواعد الخير مطالباً عدم الكشف عن اسمه الحقيقي قائلاً: تقوم سواعد الخير بجولات متكررة على المدارس والجامعات للتدخل بشؤون الطلاب والمدرسين من خلال فرض اللباس الشرعي وفصل الذكور عن الإناث، وتعتقل الكثير من المواطنين والناشطين بتهمة الانتهاكات غير الشرعية، كمحاولة اقتحام مدرسة العروبة للبنات في إدلب بعد تهديد ووعيد من إحدى الداعيات للمعلمات والطالبات، واقتحام معهد فيثاغورث (معهد تعليمي خاص للشهادة الإعدادية والثانوية في إدلب المدينة) بحجة التفتيش على الاختلاط بين الذكور والإناث، حيث تم الاعتداء بالضرب على أحد المدرسين بحجة تدريس طلاب وطالبات في غرفة واحدة ضمن المعهد،

وإجبار الإدارة للتوقيع على تعهد ودفع غرامة مالية على خلفية الاتهام بوجود مخالفة شرعية، مما سبب حالة رعب كبيرة لدى الطلاب، وقامت سواعد الخير مؤخراً بإغلاق جامعة إيبلا الخاصة بالقرب من مدينة سراقب واعتقال مديرها بسبب فيديو لحفل تخرج طلاب الجامعة، بتهمة انتشار الموسيقا والاختلاط بين الذكور والإناث.

أم وليد من مدينة إدلب اضطرت لمنع ابنتها من الذهاب إلى المدرسة معللة ذلك بـ "إساءة عناصر سواعد الخير للأهالي بغلظتهم غير المبررة، والتضييق على العنصر النسائي بشكل خاص، إذ يفرضون زيّاً معيناً على النساء والفتيات، كما قامت الداعيات بمحاولة لاقتحام مدرسة ابنتها بمساعدة عناصر من هيئة تحرير الشام الذين قاموا بإطلاق الرصاص وإثارة الهلع والخوف بين الطالبات".

كذلك أبو محمد من مدينة إدلب يشكو من إيقاف سواعد الخير لعمل باصات النقل الداخلي المجانية التي كانت تُقلّهم وتخفّف عن كاهلهم بعض الأعباء "كانت (باصات الخير) تُسيّر رحلات داخلية مجانية على مدار الساعة لإيصال الطلاب والموظفين إلى أماكن عملهم مجاناً، لكن مجموعة سواعد الخير أوقفت عملهم في العاشر من شباط 2018، واعتقلت السائقين بذريعة محاربة الاختلاط بين النساء والرجال في مكان واحد".

فاطمة من مدينة سرمين بريف إدلب عبّرت عن معاناتها بالقول: "كنت مع زوجي في طريقنا إلى مدينة إدلب لزيارة أقاربنا حين استوقفنا حاجز تابع لهيئة تحرير الشام، وبدؤوا بتوبيخ زوجي وحدثت بينهم مشاجرة كلامية بسبب عدم ارتدائي للنقاب الذين يعتبرونه فريضة واجبة، ومنذ ذلك اليوم أصبحت مضطرة لارتدائه خوفاً من ظلمهم وجبروتهم".

لم تسلم المنظمات الإنسانية العاملة في إدلب وريفها على خدمة الأهالي من التدخل في شؤونها من قبل (سواعد الخير) لفرض سلطتها المطلقة على المدينة، إضافة إلى رغبتها بالسيطرة على تمويل ومصاريف هذه المنشآت، وتحسين وضع هيئة تحرير الشام اقتصادياً، الأمر الذي دفع تحالف المنظمات السورية غير الحكومية إلى إصدار بيان يرفض تدخل أي جهة عسكرية أو سياسية أو شرعية بعمل المنشآت المدنية، مُحمّلًا هذه الجهة المسؤولية الكاملة عن توقّف تقديم الخدمة للمدنيين.

كما قامت مجموعة سواعد الخير مؤخراً بإطلاق مشروع (إدلب الخير) الذي سيُلزم المواطنين بقانون ونظام شرعي عام في محافظة إدلب، لذلك أصدرت المجموعة بياناً تدعو فيه العلماء والدعاة وحكومة الإنقاذ وجميع المؤسسات العامة لدعم المشروع، معتبراً أن المدينة تحررت لتحكم بشرع الله ولإقامة مجتمع إسلامي، يظهر فيه المعروف ويختفي المنكر.

أبو عدنان من مدينة إدلب يمتلك متجراً لبيع المواد الغذائية يستنكر ممارسات جهاز سواعد الخير متحدثاً عن معاناة الباعة منها بالقول: "تقوم سواعد الخير بشكل يومي بالتجول في المدينة ضمن الأسواق والأحياء السكنية عبر سيارات خاصة أو من خلال فرق جوالة لمتابعة بيع الدخان، ويطلبون تغطية رؤوس دمى عرض الألبسة في المحلات والبسطات، إضافة لمراقبة الجوالات ومحلّات الحلاقة، وحتى المدنيين في الشوارع لا يسلمون من مضايقاتهم، وكل ذلك لفرض الإتاوات والمخالفات التي تُرهقنا وتُشكّل عبئاً إضافياً يُثقل كاهلنا، لتمتلئ صناديقهم من جيوبنا ولقمة عيشنا".

صور معتقلين في مظاهرة ضد النظام - من الإنترنت

عبر دوائر النفوس والمشافي يُبلغ النظام بوفاة معتقلين بعضهم كانوا أحياء

ثمان سنوات من عمر الثورة السورية ولم يتحقق أي تقدّم ملحوظ في ملفّ المعتقلين الذي طرح عبر كل المنصات الدولية والمؤتمرات، لكن نظام الأسد يستمرّ في مُراوغته وتضليله وتمييع القضية.

محمد العمر

تتوالى أخبار يومية، تتحدّث عن استشهاد مُعتقلين في سجون الأسد، في زيادة عن الوتيرة المعتادة في السنوات السابقة، إذ تُسرّب أجهزة مخابرات النظام وبطرق شتى، عبر دوائر الأحوال المدنية (النفوس) أو المشافي العسكرية أو عن طريق وسطاء، أسماء معتقلين قضوا في السجون.

يقول المحامي فهد الموسى (رئيس جمعية الأسرى والمعتقلين) لا توجد إحصائية دقيقة عن عدد سجناء محافظة حماة لدى قوات الأسد، مع العلم أن الكثير من الجهات الحقوقية عملت على توثيق الأمر مراراً، لكنها لم توفّق لأسباب مختلفة أهمها: القبضة الأمنية التي تُرهب الأهالي في مدينة حماة وسائر المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، حيث يمتنع البعض عن تقديم أي معلومات تخصّ أبناءهم المعتقلين.

وبحسب الموسى، وصلت إلى دوائر النفوس أسماء أكثر من (150) معتقلاً من أبناء حماة، توفّوا في أقبية الأفرع الأمنية أو في السجون، وهذا ما تكرر في محافظات أخرى، "معظم المتوفين شبان صغار السن، شاركوا في المظاهرات أول الثورة، قبل أن يُعتقلوا وتختفي آثارهم من سجن أو معتقل إلى آخر"، وفي جميع الحالات تُفسّر الوفاة بـ "تقرير طبي"، كاذب بالطبع، بهدف طمس الجريمة، والتنصل من أي تبعات أو ملاحقة قانونية أو جزائية.

في معظم الحالات، يكتشف الأهالي وفاة أبنائهم حال مراجعتهم دائرة نفوس لاستخراج ورقة ما، بالصدفة أو بغاية التحقق بهذه الطريقة من وفاة أبنائهم أو بقائهم على قيد الحياة.

بحسب التقارير الطبية المزعومة، وقعت معظم الوفيات في العامين 2014 و 2015، ما يُثير أسئلة عدة، عن الأسباب التي تدفع النظام للكشف عن مصير المئات فقط من بين مئات آلاف المعتقلين مجهولي المصير في سجونه. ولماذا يُخفي مصير مُعتقلين أقدم منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى الآن؟

يقول "أبو خالد وهو أب لشاب مُعتقل " هدف نظام الأسد من هذه الحركة تمييع ملف المعتقلين، والذي يُعتبر الملف الأكثر ضغطاً على النظام منذ انطلاق الثورة السورية. وخصوصاً أن الملف يُفتح في كل المحافل الدولية".

ربما يحاول النظام التخفيف من صورته الوحشية في ملف المعتقلين، بإطلاق سراح عشرة معتقلين هنا -انتهت مدة أحكامهم بالغالب- والكشف عن مصير عشرة آخرين متوفّين هناك قضاء وقدراً بأمراض، كما تقول تقاريره الطبية. وربما كما يقول البعض يُريد النظام تنفيس الاحتقان لدى أهالي المعتقلين، بإبلاغهم بالتدريج وإفرادياً بمصير أبنائهم.

لا يثق أبو خالد مثل كثير من ذوي المعتقلين بالأخبار المُتداولة أو تلك التي يُشيعها النظام، عبر صفحات أو شخصيات تابعة له، لأن "عدوّك لا يمكن أن يمنحك خبراً صادقاً، وهو يكذب دوماً وفي كل شيء".

ويروي رجب كيف أُبلغ عن طريق موظف في النفوس بمراجعة الدائرة لتسجيل وفاة شقيقه المعتقل منذ العام 2012، بعيد اشتراكه في مظاهرة في مدينة حماة. لم يستطع رجب مراجعة النفوس، حتى لا يتأكد كلام الموظف وليحافظ على أمل ببقاء شقيقه على قيد الحياة، "النظام يكذب وكثير معتقلين طلعو من السجن بعد ما قالوا لذويهم ماتوا" حسب ما يقول رجب، ويستدلّ على ذلك بحكاية صديقه الذي حصل قبل عامين على ورقة وفاة لابنه من مشفى تشرين العسكري، تحمل اسمه ورقمه التسلسلي وتاريخ وفاته، وكانت المفاجأة بإطلاق سراحه قبل أيام.

يزيد عدد المعتقلين السوريين في سجون الأسد منذ بداية الثورة 2011 على 220 ألف معتقل، منهم 118829 مُعتقلاً مُوثقاً، بينهم 9000 دون سن الثامنة عشرة وحوالي 4500 امرأة، بحسب "الشبكة السورية لحقوق الإنسان".

وتأتي حلب في مُقدمة المحافظات السورية بعدد المعتقلين بنحو 40 ألفاً تليها حمص بـ 35 ألفاً و ريف دمشق بـ 30 ألفاً، فيما قدّرت الشبكة عدد المعتقلين في إدلب وحماه بـ 20 ألفاً.

وبحسب منظمة العفو الدولية في تقريرها وعنوانه "مسلخ بشري: شنق جماعي وإبادة في سجن صيدنايا" أن 13000معتقلاً تم إعدامهم في الفترة بين 2011 و2015 في سجن صيدنايا وحده، مُتهمة النظام السوري بإعدامات ميدانية بدون محاكمة في السجون والمعتقلات السورية.

ويُعتبر سجن صيدنايا (قرب دمشق) السجن الأكبر للمعتقلين السوريين، إضافة إلى سجن عدرا المركزي في ريف دمشق، وسجن حلب المركزي، وسجني حماه وحمص المركزيين.

وتتحدث التقارير عن سجون سرية لقوات الأسد يتم تعذيب وتصفية المعتقلين داخلها، خاصة تلك التابعة للأفرع الأمنية، وأهما: فرع فلسطين ومطار المزة العسكري (الذي يتبع للمخابرات الجوية)، وفرع المخابرات الجوية والأمن العسكري (الفرع 291 وفرع المعلومات)، إضافة إلى سجون سرية، أشارت لها تقارير صحفية، في المدينة الرياضية باللاذقية وجبل قاسيون بدمشق.

سعد الذي أحب درعا وأوصى أن يُدفن فيها ولم يُدفن

SANA

مصطفى أبو شمس

في الطريق إلى مدينة إزرع التابعة لمحافظة درعا أمضى سعد خدمته الإلزامية، في اللواء 69دفاع جوي، برتبة ملازم أول بعد أن أنهى دراسته لهندسة الاتصالات. في المرات القليلة التي تحدّث فيها عن فترة خدمته، باعتبارها أسراراً عسكرية، كان يتندّر بمولدة الديزل التي أفرز لها العميد مجندين يُمضيان يومهما في ملء خزان الوقود المثقوب خاصتها طوال فترة خدمته، كان يضحك وهو يروي هذه القصة ويتساءل عن السبب الذي منع الجميع من إصلاح ثقب المولدة الروسية المسؤولة عن شحن الصواريخ حيال أي غارة جوية من العدوان الإسرائيلي على المنطقة؟

قبيل اعتقاله بأيام في عام 2014 بعد أن التحق بركب الثورة، روى سعد الحكاية ولكن بطريقة مختلفة عن المرات السابقة، كانت ملامحه قاسية هذه المرّة، وكان وجهه مليئاً بحزن دفين. أخبرنا عن العميد الذي كان يبيع آلاف لترات المازوت من مُخصصات المولدة، وعن الرادارات تحت الأرض والتي كانت تراقب الطائرات "الإسرائيلية" دون أن يمتلك أي من الضباط حق الضغط على زر الإطلاق، رغم أن الطائرات الإسرائيلية كانت تجوب الأراضي اللبنانية وتخترق الأجواء السورية دائماً، وروى لنا كيف أمضى عقوبة السجن والتحقيق معه حين تجرّأ وسأل عن جدوى هذه "الخرضة" القديمة (صواريخ ذكرها ونسيت اسمها تتبع بالوناً حرارياً، وتُكلّف الدولة ملايين الليرات والوقود والجنود بلا طائل).

وحدثنا عن أمّه (أم سعد) حين رفعت يديها إلى السماء ودعت له، فأمضى "دورة الأغرار" في حمص، وفي المرة الثانية جاء فرزه إلى درعا، وحين عاد في إجازته الأولى وهمّت بالدعاء له طلب إليها التوقف ضاحكاً "هالمرة بيفرزوني على تل أبيب". ضحك كثيراً وأضاء وجهه وهو يكلمنا عن أم سعد، قال إنها اليوم تشبه تلك الخارجة من قصص غسان كنفاني، وحدثنا عن دعائها له في الثورة، وكيف باركت التحاقه بها "إذا مو أنت مين بدو يكون فيها".

أكثر ما كان يفخر به أمامنا هو خدمته في درعا، كان يعرف كل "شجرات الجوز" في قراها على حد قوله، "درعا مهد الثورة وشرارتها الأولى"، منها "هلّت لبشاير" كان يقولها باللهجة الحورانية التي يُجيدها، ويُدندن بأغنيات لا نفهمها.

اعتُقل سعد في واحدة من معارك حلب القديمة، كان يُوصينا دائماً إن قتل في المعركة أن ندفنه تحت شجرة جوز في درعا، وحين كنا نسأله عن السبب كان يجيبنا دائماً "درعا ما بتسقط، وما بدي اندفن بأرض فيها هدول الكلاب".

لا أعرف إن كان سعد قد استشهد فعلاً في واحد من أقبية النظام، ولكن كل ما تبادر إلى ذهني وأنا أسمع أخبار مصالحات درعا ودخول قوات الأسد إليها، كيف كنت سأخبر سعد بأن درعا سقطت وأن "الكلاب" سيدخلونها؟

كلمتني اليوم أم سعد، كانت تبكي وهي تستجدي مني جواباً يُريح قلبها بأن درعا ما زالت صامدة، فدرعا هي سعد، كلاهما لن يسقط. حاولت جاهداً تمييع الحقيقة، تحدثت عن الاتفاقيات المُشرّفة والشروط التي يُمنع بموجبها دخول قوات الأسد إلى كثير من قرى درعا، وأخبرتُها أن إعلام النظام يكذب ويضخم الأشياء، وسرعان ما انابتني لحظة من الصمت، لا يمكن لنا أن نكذب في حضرة أم سعد، أقفلتْ الهاتف وتركتني وحدي بارداً ويتيماً.

عزائي الوحيد كان في أن المعتقلين لا يملكون أجهزة خليوية كي لا يشعروا بالخذلان الذي نعيشه، وأن لا يتسرّب اليأس الذي يعترينا إلى قلوبهم الحية، لن يشاهدوا ظاهرة "الضفادع" ولا الردّ بشتائم "أحمد العودة"، ولسنا مطالبين أمامهم بالوقوف على أسباب سقوط حلب والغوطة الشرقية ودرعا اليوم. لن يكون بإمكانهم الكتابة لنا عن خيانتنا لأرواح الشهداء والمعتقلين، سنكتفي باعتبار ما حدث "أسراراً عسكرية" كما كان يفعل سعد دائماً، إلى أن نتعافى بثورة جديدة نستطيع فيها البوح بما في داخلنا، ونروي كل الحكايا، ولكن بملامح قاسية، ووصايا نُدفن فيها تحت شجر الجوز الذي لا يسقط.

أنا السوري

محمد جلال

أنا السوري الذي يقبع الآن في زنزانة منفردة منذ أكثر من سنة. أغلب الظن أنها سنة، قضيتها هنا دون تمييز الأيام أو الأشهر والفصول. لا أخرج إلا إلى حفلة التعذيب اليومية، لم أرَ فيها أي إنسان سوى الشخص الذي يضع العصابة على عيني. ليتهم ينقلوني إلى الزنزانة الجماعية التي وُضعتُ فيها بداية هذا الحبس، هناك سأجد بشراً أتكلم معهم بدلاً من الحديث المكتوم مع نفسي. سوف أستطيع التمدد على الأرض بكامل جسمي، فهنا عليّ أن أطوي ساقيّ لأستطيع النوم. في الزنزانة الجماعية سيدخل ويخرج أناس جدد بشكل مستمر، ويمكنني معرفة بعض الأخبار من الخارج، وقد تتسرب بعض الأنوار.

أنا السوري الذي تم نقله منذ أشهر إلى الزنزانة الجماعية: بالكاد يتّسع المكان للجلوس، والنوم بحاجة إلى "المسايفة" التي نبدو فيها كسمكٍ في علبة سردين. هل سيتركونني هنا إلى الأبد، أم سأحوَل إلى سجن عدرا المركزي؟ الجميع هنا يعرف عدد الميزات التي من الممكن الحصول عليها هناك. سوف أنام على فراش من الإسفنج على الأقل، فقد أكلتْ أرض هذه الزنزانة من أكتافي وظهري. كذلك سوف أتناول لأول مرة طعاماً يصلح للأكل البشري، فالطعام هنا بقايا لا يدفعك لأكلها إلا خطر الموت. سوف أتمكن من التحدث بالهاتف مع زوجتي وأطفالي، وربما يأتون لزيارتي فأراهم لأول مرة منذ سنوات. أرسلت لهم أكثر من مرة مع الخارجين من هذه الزنزانة بأني حيّ، ولا أدري فيما إذا وصلتهم إحدى تلك الرسائل. بالتأكيد سوف يكون بإمكاني الاستحمام في السجن، والتخلّص من أوساخ هذه السنين.

أنا السوري الذي أمضى وقتاً ليس بالقليل في سجن عدرا المركزي: أنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي سأتخلص فيها من هذا المكان. أريد رؤية عائلتي التي عرفت أنها محاصرة في حمص مع آلاف الناس هناك. كيف يتدبرون أمورهم يا ترى؟ سوف يكون أجمل أيام حياتي عندما أعود إلى حارتي، وأبحث عن عمل ما، بعد أن تركت وظيفتي، التي اعتُقلت وأنا أقبض راتبها الشهري. أريد أن أتخلص من هذه الجدران التي تحيط بي من كل الجهات، وهؤلاء العناصر، وذلك الوجه البائس المُعلّق على كل جدران السجن، ليُذكّرنا بمأساتنا في حال صدف أننا نسينا.

أنا السوري المُحاصر في مدينة حمص: تم الإفراج عنه مقابل إطلاق سراح شبيح أسره الثوار. لم أتخيل أن أخي الصغير الذي تركتُه أقرب للأطفال منه للرجال، يقود الآن لواءً من عشرات المقاتلين، ويتصرف كأنه رئيس دولة. أرغب في أن أنجو بعائلتي من هذه المعيشة البائسة التي لا يتوفر فيها إلا القصف المدفعي والجوي اليومي، والهروب الذي لا ينتهي إلى الملاجئ، و(الثوار) الذين تركتهم قبل السجن ملائكة، وخرجت لأجدهم شياطين.

ليتنا نستطيع الوصول للشمال، حلب أو إدلب لا فرق. هناك المساحات واسعة والمدن والقرى تنتشر في كل مكان، والحدود مفتوحة، ونستطيع الحصول على كل ما نرغب. على الأقل يمكن لأطفالي أن يعرفوا ما هو الموز الذي يسمعون عنه باستمرار من الكبار.

أنا السوري الذي تم تهجيره إلى إدلب، بعد أن فشل الجميع بفكّ الحصار عنه، أو إيقاف القصف عليه: هنا قصف كذلك، والمجازر تنتقل يومياً من قرية إلى أخرى. ليس وحده القصف من يُعكّر عليّ العيش. الفصائل تتقاتل بشكل يومي ويسقط بينهم العديد من القتلى. فوضى عارمة تُهدّد مستقبل هذه المنطقة برمتها. العديد من الأفكار والمذاهب تُلقي بظلها الثقيل، ولا أعرف هل أنا كافر أم مرتدّ أم ملحد أم خارجيّ.

أفكر الآن في السفر إلى تركيا. على الأقل سوف أعيش هناك بأمان من القصف والخطف، في دولة من أكثر دول العالم تطوراً. سوف أبحث لأطفالي عن طريقة ليكملوا دراستهم بعد أن انقطعوا عنها سنوات. على الأقل سوف أعامل هناك على أني إنسان.

أنا السوري الذي أعيش في تركيا، كما يفعل مثلي حوالي ثلاثة ملايين لاجئ: دفعت ألف وخمسمئة دولار أمريكي لعبور الحدود، ودفعت ما تبقى لدي لاستئجار منزل متواضع. العمل متوفر هنا بكثرة، إلا أن شخصاً مثلي لا يتقن أي حرفة، ولا يعرف أي شيء عن اللغة التركية، لم يتبق لديه إلا قوته العضلية، التي لم يختبرها في حياته.

لا أدري إلى متى سوف أستمر في العمل كعتّال لحوالي اثنتي عشرة ساعة في اليوم، ولا أعرف إلى متى سوف يصمد عمودي الفقري قبل أن ينهار بشكل كامل. قررت أن أتحمل هذا الحال حتى أستطيع تأمين مبلغ يكفيني للهجرة إلى ألمانيا. الجميع يقول إن الطريق مفتوح.

بعد تفكير طويل قررت أن تخوض معي عائلتي هذه الرحلة، فلن أستطيع تركهم وحدهم لفترة طويلة. هناك لن أحتاج للعمل بهذه الطريقة، وستتكفل الدولة بتأمين المعيشة والسكن بالحد الأدنى. سوف نستقر في تلك البلاد، التي لم نكن نحلم بزيارتها.

أنا السوري الذي استقرّ في ألمانيا، ويحاول جاهداً الاندماج في هذا المجتمع الغريب: أشعر أني بدأت أخسر أبنائي، الذين انخرطوا في الحياة الجديدة بشكل سريع، قبل حتى أن أفكر ما هو الصواب وما هو الخطأ هنا. أمضي الكثير من الوقت مستعرضاً شريط ذكرياتي والأيام التي مررت بها، أُحصي من مات ومن لازال حيّاً من الأحباب، والأماكن التي استقروا فيها.

لا يوجد أي خيار يُمكن أن أهرب إليه هذه المرة، وبكل تأكيد العودة إلى سوريا غير مطروحة. لكن أكثر ما يثير الرعب في قلبي أني إذا متّ الآن لن أدفن فيها.

برامج التوك شو السورية

رانيا عيسى

عكست برامج "التوك شو" التي انتشرت في الآونة الأخيرة خيبةَ أمل متابعيها، وأصبحت موضع انتقاد يفوق المتابعة، بالرغم من الأموال الطائلة التي صُرفت عليها، ومساحة الحرية التي اكتسبتها بعد سنوات من كبت إعلام الأسد لإنتاج مثل هذه البرامج.

لم يكن مطلوباً من مُعدّي هذه البرامج سوى "بقّ الحصة"، فأدبيات التوك شو تتطلب الاحتكام إلى الجمهور في انتقاء القضايا المطروحة للنقاش، بالاعتماد على مذيع "ظلّه خفيف"، وضيف وجمهور في الاستديو يُفضّل أن يُقدّم رسالة إعلامية على شكل وجبة دسمة لجمهور متنوع في السياسة والفن والمجتمع. وعليه تبدو برامج "التوك شو" السورية على شاكلة (نور خانم) على تلفزيون سوريا و(دراماللي) و(السيناريو) على قناة أورينت، تائهة في عنوان الشارع السوري، فتقرأ الأخبار السياسية بإطار ساخر وعرض في مدة وجيزة، بعيداً عن تفاصيل متاعب السوريين ممن تبقى على قيد الحياة. في حين سبقتها عدد من البرامج في الدراسة والبحث عن جوانب القضايا قبل طرحها على المشاهد، بشكل يخلو من التجريح أو الإساءة للشخص، كما هو الحال المعاكس تماماً في البرامج تلك.

أين البرامج السورية من (توك شو)؟

تُلقي مقدمة برنامج (دراماللي) ما في جعبتها سريعاً، من شرح وتحليل مطول عن فكرة لمسلسل أو إعلان، في شُعب متفرقة، الغاية منه أن يثبت تورّط النظام في الفكرة موضوع الحلقة، ليغدو الطرح مُفرغاً من هدفه، يخلص بشكل دائم إلى "مؤامرة" تُحاك للنيل من السوريين وكرامتهم، ضمن طرح أشبه بالرّدح السطحي، على اعتقاد أنه أسلوب محبب.

وبخلاف ما قدمه البرنامج العام الماضي من رصد الدراما السورية، جاءت إحدى حلقات (دراماللي) هذا العام تعقيباً على إعلان عن منتج غذائي قدّمه الداعية الإسلامي المصري عمرو خالد، فترصده المذيعة بجملة: "والله إزا بتبوس التوبة عالقبلة مالي فاكة عنك، وبدي أطلع بالحلقة!"، لتكون العبارة كفيلة بمعرفة سويّة الإعداد البرامجي لـ (دراماللي)، فهل غاية الحلقة محاسبة رجل دين غير سوري، أم "لنطلع بالحلقة ونعمل Show إعلامي؟" وأين ما يعني الشارع السوري من الحلقة؟

أما (نور حداد)، مقدمة برنامج (نور خانم) السنة الجارية و(دراماللي) السنة الفائتة، والتي فرضت حضوراً محبباً وإلقاءً تهكمياً أكثر توازناً في العام الماضي، فقد وقعت في فخ التشابه هذه المرة في برنامجها على تلفزيون سوريا، حتى يمكن للمُشاهد التّنبؤ بفقرات البرنامج وتعقيبات المذيعة بعد متابعة الحلقات الأولى، عدا عن النمطية في اعتماد المطبخ كمكان لعرض برنامجها.

وبدا برنامج (السيناريو) على قناة أورينت -بشارته القصيرة التي تسرد حكاية الثورة ومجراها وسارقيها والمتسلقين على أكتافها- مقاربة حقيقية لخلق (توك شو) سياسي سوري، إلا أن مقدمه هماه هوت، الوجه المسرحي المعروف بأعلى شباك للتذاكر في سوريا قبل الثورة، لم يستطع الخروج من عباءة المسرح، فرصد وعلّق على الأحداث بطرح تهكمي مُختزل يناسب جمهوره المسرحي، كما فعل في مسرحيات (ليلة سقوط بغداد) و(فساد حكومي) وغيرها من المسرحيات، وكأن (السيناريو) في نظر (حوت) بديل مسرحيّ مُصغر.

من زاوية أخرى كان (السيناريو) يمشي عكس المتعارف عليه في برامج التوك شو، بجلب الإعداد لوجه فني معروف ليكون مُقدماً، بدلاً أن يعمد إلى مذيع فيصبح نجماً، وهو مخالف لما ينبغي أن يكون عليه.

على المقلب الآخر، وانطلاقاً من "حقّ الرد" الذي ما فتئ النظام يكرره على مسامع السوريين، قرر أخيراً ممارسة الحق في خلق برنامج لـ (الرّدح المعاكس). فبعد تواتر ظهور برامج المعارضة التي تتناول النظام، دفع الأخير لصناعة برنامج (كلام كبير)، الذي أخذ في دقائق عرضه الأولى يُحدد قاموس المفردات المسموح له تداولها، فما إن تفوه المذيع بكلمة (ثورة) حتى باغته (ممثلون) بهيئة مخابرات يُطوقونه للاعتقال، لتحال الكلمة إلى (نهضة)، ويغدو البرنامج منصة إعلامية تستهدف المعارضة السورية، وكل مواطن في سوريا بقي في قلبه مثقال ذرة من إيمان بالثورة، بأسلوب طرح مبتذل يتخلّله شتم وسباب، ضمن إطار يتوسّل الفكاهة.

في حين قدّم برنامج (جو شو) على قناة (العربي الجديد) عرضاً سلساً بطرح منطقي ومتابعة دقيقة في أرشيفات الأشخاص المعنيين بالنقد، إضافة إلى حديثه مع مواهب سورية اكتسبت شهرة عبر السوشال ميديا كـ (عمرو مسكون)، ليبدو أكثر البرامج التي فهمت وجع الثورة السورية، مع مقدمه المصري (يوسف حسين) الذي يتمتع بكاريزما وخفة ظل يتطلبها هذا النوع من البرامج، وهو ما لم توفق به غالبية البرامج سالفة الذكر التي تغرد خارج سرب (توك شو) لتصبح أقرب ما تكون إلى برامج (One Man ShoW).

وعليه يبدو أن الطريق طويل باتجاه برنامج توك شو سوري على غرار برنامج التوك شو الأميركي To Night Show التي يتحوّل مُقدموها أحياناً إلى قادة رأي، كما هي حال (أوبرا وينفري) التي اكتسبت شهرة إلى الحد الذي خولها اليوم للمنافسة على منصب رئيس الجمهورية.

نايف العاقل.. (البطل) الفلكلوري في قريته النائية

عبيدة نبواني

تراجع قليلاً ذكر الضابط السابق نايف العاقل مع تقدم جيش النظام في درعا، بالتزامن مع تصاعد دعوات الثأر في قريته أم الرمان، التابعة لصلخد السويداء، لقتلاها؛ لكن ذلك لن يُؤثر في الحالة الفلكلورية للعاقل، وفي مسيرته التي قطعت مع المألوف في قريته، وقبل أن تحاول التأسيس بعناصر الماضي.

نايف العاقل من مواليد 1949، هو واحد من عدة شخصيات حاول الأسد تصديرهم -كلٌ لمجتمعه- فباتت تُروى عنهم القصص والأساطير المُكررة، فتُنسب كل مرة لواحد منهم، مثل كسر البلاط تحت الأرجل أثناء أداء التحية للأسد الأب، أو غرز وسام التكريم الذي قدّمه الأخير في صدورهم بدل تثبيته بالبزّة العسكرية، بهدف إظهار مدى التزامهم وتفانيهم في خدمة الأسد، واستعدادهم لتسخير (قوتهم) في سبيله، ليكون كل منهم بذلك مثالاً يُحتذى بالولاء والطاعة والخضوع.

ويمكن النظر لسيرة العاقل على أنها سيرة ضابط مخلص لنظام (بشّر) بالانقلاب على المجتمع، وإعادة ترتيب مُسلّماته الاجتماعية والرمزية، فشارك ذاك الضابط المغمور في حرب تشرين، وكان حينها برتبة ملازم ضمن الكتيبة "82مغاوير مظليين"، حيث أسعفته شجاعته ليكون من أوائل الواصلين إلى مرصد جبل الشيخ، ومن المُشاركين بإنزال العلم الإسرائيلي عنه ورفع العلم السوري، كما تروي السرديات الرسمية والفرعية للنظام عن وقائع الحرب، التي تحوّلت إلى لحظة تأسيسية في مسيرة العاقل، فقلبت سلّم الترقية الاجتماعي في قريته، لتضع في قمته "الضابط البطل"، وتبدأ منذ ذلك الحين في النسج على نول الماضي الذي انقلبت عليه، بالاستعانة بمخيّلة شعبية حاكت سلسلة من الحكايات التي تتحدث عن (بطولاته): من اختراق الصفوف الأولى للجنود الإسرائيليين بسلاحه الفردي، إلى قتله عدداً منهم بيديه العاريتين وأسر أكثر من 30 منهم أحياء!.

على المستوى الرسمي، استمر النظام وحلفاؤه في تكريس تلك اللحظة التأسيسية لشخصية "الضابط البطل"، فمن حصوله على "وسام بطل الجمهورية" عام 1973، إلى "وسام 6 تشرين" عام 1974، و"وسام الشجاعة" في العام نفسه، إضافة لوسام جرحى الحرب ووسام سلام لبنان عام 1977؛ إلى حضور كاريكاتوري شبه قسري في احتفالات وفعاليات أهليّة ومدنية، يبدو فيها العاقل اليوم ديكوراً للتصوير والتسويق تحت ضغط انتماء تلك الفعاليات للجهة التي تصدر عنها شخصية "الضابط البطل"، وتحت ضغط من نوع آخر، يظهر في اللقاءات التلفزيونية مع الرجل، ويتعلق بشخصية وجدت في (البطل) ضالّتها فتماهت معه، رغم عدم امتلاكه لمنصب كبير في صفوف قوات الأسد بعد الحرب التكريسية.

بقي الأمر على حاله حتى بدأت حالة التوتر في محافظة حماة إبان انتفاضة الإخوان المسلمين، ليظهر إلى الواجهة مُجدداً كقائد عسكري ترقى من قائد سرية إلى قائد كتيبة برتبة رائد عام 1979، ثم مقدّم ومنه إلى قائد فوج، وأحد المسؤولين عن المجزرة التي ارتكبت في حماة.

غاب "العاقل" عن المناصب المهمة مرة أخرى، منذ ذلك الوقت إلى أن تقاعد أخيراً برتبة عميد، ما يشي بالمنطق الاستخدامي الذي تعامل به الأسد الأب مع العاقل، وشخصيات أخرى تُمثل بانتمائها الديني أو المناطقي واجهة تبقيه بعيداً عن المسؤولية، سواء في قضايا الفساد أو في المجازر والمذابح. لكن العاقل استمر في ترقّي المناصب الاجتماعية في منطقته، ليفتح مضافة يستقبل فيها علية القوم من شيوخ عقل ووجهاء وأثرياء، ومنذ الحرب، يستطيع الوقوف إلى جانبهم على قدم المساواة. حتى عمل بشار الأسد لمحاولة إعادته إلى واجهة الصراع السياسية والسلطوية مجدداً مع بدء الثورة السورية عام 2011، نظراً لما صار لاسمه من مكانة في ذاكرة أبناء السويداء، فتسلّم منصب مستشار للأسد في القصر الجمهوري.

استعاد نايف العاقل بعد ذلك بزّته ورتبته العسكرية، وبدأ بتشكيل ميليشيا جديدة تتبع للنظام في السويداء منتصف عام 2015، تحت اسم "درع الوطن" بالتنسيق مع قوات النظام وأجهزته الأمنية بهدف جمع الميليشيات الناشئة طوال سنوات الثورة السورية في السويداء، إلا أن التشكيل الجديد لم تُكتب له الحياة، فاقتصر دوره على ضجة إعلامية انطفأت سريعاً بلا أي دور فعليّ على الأرض. وفي محاولة لإبقائه تحت الضوء، استدعي العاقل حين منح القيادة العسكرية الروسية (وسام البطولة) لقريبه العميد إياد العاقل، في أيلول العام 2017، لكن ذلك لن يُضيف شيئاً للوجيه أبو طلال الذي وصل إلى مكانة مرموقة في قريته النائية أم الرمان.

لم يشعر الضابط الحاصل على وسام بطولة الجمهورية من حافظ الأسد بالإهانة من تهميشه لسنوات طويلة، واستدعائه عند الحاجة إلى واجهة (مناسبة) من أبناء السويداء، وربما يكون قد شعر بالفخر لذلك، معتبراً نفسه (بطلاً) حقيقياً يلجأ إليه رئيس الدولة عندما يوقع نفسه بكثير من المتاعب التي لا يستطيع الخروج منها. وعلى عكس عصام زهر الدين الذي جنّد إلى جانبه ابنه "يعرب"، لم يكن لنايف العاقل أبناء ذكور يمنحهم مناصب قيادية لم يستطع أن يحصل عليها لنفسه، أو ينقل إليهم تلك (البطولات) التي صنعها له نظام (بشّر) أتباعه بالانقلاب على المجتمع، ثم عاد ليتمثل الأدوار التي يصنعها المجتمع إياه، ويتقمصها في آخر أيامه.

أدب ما بعد الثورة: هل سنتخلّص من تكريس أدباء النظام؟

أحمد طلب الناصر

سألت صديقي: هل أكون ظالماً حين أُشبّه القاصّ الراحل عبد السلام العجيلي بـ "الحكواتي"، ومثله حنّا مينا ووليد إخلاصي؟ وكذلك حين أنعت فايز خضّور بـ "المتأدنس"، وأدونيس بـ "المتفذلك"، والماغوط بـ "المكرِّر"؟ فأجابني: لكنك ستتعرض لردود فعل عنيفة إذا ما طرحت ذلك أمام متابعيهم ومعجبيهم!

هذا ليس جواباً للسؤال، سؤالي كان هل أكون ظالماً أو مُتحاملاً إذا قلت ذلك؟ صمت صديقي ثم أجاب: نعم.. ربما.. لا أعرف صراحة!

جواب صديقي يُلخّص آراء غالبية "الجمهور" السوري: أجوبة مسايرة، غير دقيقة، تتّصف بالتخبّط والابتعاد عن الوضوح، وتفتقر لتبنّ رأي صريح.

ولا شك بأن جوابه كان نابعاً من اطّلاع جزئي على نتاجات الأدباء الذين سردتُ أسماءهم، ورغم هذا لم يتجرّأ على الدفاع عن الجزء الذي يعرفه، بل ظلّ مُرتبكاً من السؤال، معتقداً اطّلاعي بشكل كامل على كتاباتهم ومؤلفاتهم، وامتلاكي بالتالي الحجّة والبرهان الداعمَين لرأيي الذي طرحت.

لا أنكر متابعتي الدائمة لمؤلفات أولئك الأدباء وما كانوا ينشرونه في الدّوريات المحلية والعربية، خلال السنوات التي سبقت الثورة، من باب حبّ المطالعة ومُواكبة الحالة الثقافية والأدبية السورية التي بدأت تنشط بشكل أكبر نسبياً، بعد إطلاق الأسد الابن "مسيرة التحديث والتطوير" التي أوهمنا من خلالها أن عصر قمع الحريات ولّى، وحلّ محلّه عصر الانفتاح الثقافي والسياسي و"المجتمع المدني".

نعم، كان عهداً جديداً للأدب والثقافة، مُختلفاً بالطبع عن عصر الأسد الأب الذي كان يُعاقب علناً كل من يتجرأ على كتابة كلمة واحدة، في قصة أو قصيدة أو مقالة، تمسّ النظام الحاكم أو إحدى مؤسساته، ولكن من عاصر مرحلة بشار ما قبل الثورة، يذكر جيداً بأن المستفيدين الحقيقيين من "الانفتاح" كانوا من مثقفي طائفة النظام أو مؤيديه من الطوائف الأخرى، ومحسوبين على تيار المعارضة الأدبية -إن صح التعبير-، بالإضافة إلى كتّاب وأدباء "المراكز الثقافية" و"اتحاد الكتّاب العرب" من البعثيين ومنتسبي أحزاب "الجبهة الوطنية التقدمية". أمّا البقية من المستقلين والمعارضين لنظام الأسدين، فأدركوا لاحقاً خديعة شعار إطلاق الحريات ومسيرة التطوير والتحديث لا سيما بعد حملة الاعتقالات التي أعقبت ربيع دمشق وإعلانها.

ربما سيُلاحظ البعض عدم ترابط السؤال السالف مع الموضوع المطروح، لكني قصدت من خلال سؤالي توضيح مدى تمكّن النظام من تسويق الأسماء للسيطرة على المشهد الأدبي في سوريا، لدرجة تصنيفنا لأدباء سوريا من المبدعين اللاحقين ضمن خانة (التأثّر بالشاعر الفلاني والروائي الفلاني والمسرحي العلتاني)، دون الاعتراف بإبداعاتهم الجديدة، التي تخطّت في أحايين كثيرة ما أنتجته تلك الفئة، التي صار انتقادها تجاوزاً لخطوط (تابوهات) الأدب الحمراء.

ثم أننا ربطنا، باللاشعور، احتمالية نيل جوائز الأدب العالمية كـ (نوبل) بأدونيس على سبيل المثال، دون التفكير بإمكانية طرح أسماء جديدة، لم يسعفها الحظ في تصدّر مشاهد الحياة الثقافية السورية، كما حصل لأدونيس، الذي استغلّ علاقته بالحزب السوري القومي الاجتماعي في مرحلة الخمسينات لنشر قصائده في مجلة (شعر) البيروتية الشهيرة آنذاك، وكذلك كان الماغوط، صديق أدونيس ونسيبه. تلك المجلة التي نشر فيها مؤسسو وكبار شعر الحداثة أشعارهم، كبدر شاكر السياب ويوسف الخال وأنسي الحاج وغيرهم..

لا شك بأن أدونيس أضاف ملامح جديدة لشعر التفعيلة لم تكن موجودة لدى من سبقه، لكنها كانت بنظر العديد من القرّاء عبارة عن "تعقيدات" لغوية مغرقة في الترميز يُراد منها الاختلاف والتميّز لا أكثر، ولم يغب عنها النفَس الطائفي، في بعض المطارح. وكذلك جاء محمد الماغوط ليطرح فنّاً جديداً على الساحة الأدبية، أطلق عليه "النثر"، اعتبره العديدون ثورة في الشعر العربي، رغم أنه لا يخلو من الحس الطائفي في بعض صوره، بينما عدّه البعض تطاولاً على القواعد الشعرية وأقانيمها. ومع ذلك احتل هذا الفن مكاناً له لدى شريحة واسعة من الشعراء العرب المحدّثين، لا سيما في سوريا ولبنان.

بالنسبة لأدونيس، فلم تتوقف المقالات والكتب التي تتناول سرقاته من شعراء غربيين وعرب، بدءاً من كتابه الأهم (الثابت والمتحول) من مؤلفات (بولس نويا) وانتهاءً بكتاب (ديوان البيت الواحد في الشعر العربي) من الشاعر الليبي محمد التليسي الذي نشر كتاباً يحمل العنوان ذاته منذ حوالي 30 عاماً.

أما الماغوط، فراح "يُكرّر" ويُعيد صياغة نصوصه بأشكال مختلفة في ديوانيه الأخيرين "شرق عدن غرب الله" و"البدوي الأحمر"، وكذلك في زاوية يوم الثلاثاء بصحيفة "تشرين" التي صار ينشر فيها ما يكتب من نصوص خلال السنوات الثلاث التي سبقت وفاته. إلا أن أهم ما يتعلّق بفن النثر الذي شاءت الحظوظ أن يتربع الماغوط على صدارته، فقد سبقه إليه ابن مدينته (سلمية) "إسماعيل العامود"، الذي صُورت حياته وشعره بفيلم وثائقي، بعنوان "مطموراً تحت غبار الآخرين"، للمخرج "علي سفر" ونص الكاتب "إبراهيم الجبين" عام 2008.

ما أود الإشارة إليه، رؤيتنا اليوم لأدباء سوريين في المَهاجر وهم يتسابقون لنشر قصصهم ورواياتهم وقصائدهم بعد انعتاقهم من رقابة نظام الأسد وطمسه لإبداعاتهم فيما مضى. فلا يمرّ يوم إلا ونسمع فيه، أو نقرأ، خبر طباعة رواية أو ديوان جديد، يشتمل على أجمل ما يتفتّق عندهم من فنون الأدب.. فهل نحن على موعد مع بزوغ أعلام أدبٍ مختلفٍ وحقيقي؟

إيران بعد انهيار الاتفاق: ثمن مضاعف لوهم الهيمنة

سهيل نظام الدين

سيجد أنصار نظريات المُؤامرة في معسكر الممانعة الذي تقوده إيران، أفقاً واسعاً وأرضاً خصبة، لبناء افتراضات وآراء قاطعة حيال "المؤامرة الكونية" التي تتعرض لها إيران مع بدء تطبيق سياسات إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب ضد دولة الملالي.

ثمّة إغراء أصيل هنا، فالدولة التي تصنّف على أنّها الراعي الأول للإرهاب في العالم، تُواجه ضغوطاً متسارعة، قوّضت بسرعة صاروخية كل الآمال التي بناها ساسة إيران في انفتاح اقتصادي على العالم، يُنهي ثلاثة عقود من العزلة، وفي هيمنة إقليمية مشفوعة باتفاق نووي بني أساساً - رغم كل إنكارات إدارة الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما- على استبدال الخطر النووي الإيراني، بترخيص الامتداد الإقليمي عبر جسر رئيسي هو سوريا.

والواقع أنّ أيّ استعراض سريع لتطور الأحداث في سوريا، عقب توقيع الاتفاق بل وخلال المفاوضات لتوقيعه؛ سيقود إلى تشابك واضح، بين انقلاب التوازن الميداني لصالح النظام، والتدخل الروسي بطلب مُعلن من إيران. ولعلّ هذا ما سيسهل لمريدي الممانعة، في نسختها الإيرانية الأحدث ابتناء تفسيرات تربط بين انسحاب ترامب من الاتفاق، وبين ما يعتقدون أنّه "النصر الإلهي"، الذي حققه النظام وحلفاؤه الإيرانيون عبر مليشياتهم الطائفية متعددة الجنسيات.

وليس من الصعب هنا الاستنتاج، أنّ أيّ ضعف يعتري قدرة إيران على مواصلة تغذية هذا التمدد، سواء لأسباب مالية تحت وطأة العقوبات، أو لعوائق ميدانية نتيجة التصيّد العسكري الإسرائيلي الذي بات مُعلناً في سوريا؛ سيقود إلى ضعفٍ مقابل في قدرة نظام الأسد على مواصلة إبداء وادّعاء التماسك، وهو ما سيصعّب مهمة روسيا نفسها في سوريا. فهي حتى وإن بدت منتصرة الآن، فإنّ جزءاً أساسياً من هذا الظاهر يعود إلى "خزان القتلى" الذي تمدّ به إيران هذه الحرب، وإلى انعدام حساسيتها تجاه الكلفة المالية غير المستردّة لمشروعها الطائفي.

صحيح بالطبع أنّ الولايات المتحدة تستجيب لحاجات إسرائيل أولاً في توجيه سياستها نحو إيران، غير أنّ المقابل قائم، وهو أنّ الموقف الإيراني من "الشيطان الأكبر"، أبعد من مجرد حالة شعاراتية تمثل امتداداً لموقف النظام من إسرائيل، فهو حاجة داخلية عضوية لتمكين السلطة ونمط الحاكمية.

وحتى مع توقيع الاتفاق، حافظت المؤسسة الحاكمة، وهي مزيج من رجال الدين والعسكر، على مسافة دعائية مضادة لأميركا، في مقابل ترك الساسة المدنيين في حكومتي حسن روحاني يخوضون مفاوضات -رسمت خطوطها في مؤسسة الحكم الفعلية- للوصول إلى تفاهم مجزٍ مع الشيطان.

ومع انقلاب هذا الواقع رأساً على عقب إثر قرار ترامب، باتت الثنائية الإيرانية تدخل ببطء في اضطراب وظيفي. وتحت ضغط التدهور السريع في قيمة العملة الوطنية (الريال) ووصول سعر صرفها إلى 90 ألف ريال مقابل الدولار الأمريكي، وخروج مظاهرات غير مألوفة في بازار طهران، صار لزاماً على إيران أن تواجه التحوّلات الصادمة في أثر العقوبات الأميركية القاسية.

وعد وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو بعقوبات لم يسبق لها مثيل في التاريخ ضد إيران، وهذا يبدو تهديداً مُرعباً في الواقع، وبالنظر إلى السّطوة التحكّمية الهائلة التي تملكها واشنطن على الاقتصاد العالمي؛ فإنّ أثر هذه العقوبات بدأ فعلاً حتى قبل أن يتم الإعلان عنها، وأيضاً حتى قبل أن تنتهي مهلة ترامب لإعادة فرض العقوبات السابقة، التي رفعتها إدارة سلفه أوباما بعد توقيع الاتفاق النووي عام 2015 في فيينا. وتوالى قفز الشركات العالمية الكبرى من "سفينة الاقتصاد الإيراني الغارقة" ليصل عددها إلى نحو 50 شركة، بعضها لطالما كان موجوداً في السوق الإيرانية، مثل بيجو سيتروين الفرنسية، وتوقفت صفقات ضخمة مع بوينغ وإيرباص لشراء مئات الطائرات التجارية، وانسحبت توتال من عقد ضخم لتطوير قطاع النفط الإيراني.

ويبدو أنّ القطاع الأكثر حساسية ومصيرية في إيران، وهو قطاع النفط، قد بات هو الهدف المُعلن مع كشف ترامب نواياه بتقليص صادرات إيران من الخام إلى الصفر؛ والواقع أنّ هذا الهدف تحديداً ليس في حاجة إلى تحققه بنسبة كاملة ليكون مُدمّراً لاقتصاد إيران المعتمد كلياً على النفط. وستصبح النتائج أكثر كارثية في ضوء قيام الإيرانيين أنفسهم بشطب بعض أدوات التكيّف السابقة مع العقوبات بعد حصولهم على ضمانات الاتفاق النووي، وما ظهر من عجز الأوروبيين عن حماية استثماراتهم في إيران من تهديد العقوبات الاميركية.

الحقيقة أنّه لا توجد دولة يمكنها تحمّل نتائج حسم قيمة بضاعتها الرئيسية من موازنتها، وهذه الدولة، إن حدثت المعجزة ووجدت، فهي لن تكون إيران، التي تشتري بهذه القيمة هيمنة موهومة لا تُقدّم لها أيّ عائد غير مزيد من الشعارات منتهية الصلاحية.

رسم للمغنية فيوليتا بارا

عودة سياسة الخوف في أميركا اللاتينية

لنُغنّ «لا الرصاص يُخيفنا، ولا تُرعبنا كلاب الصيد النبّاحة»

بينما كان يعمل في مجلة "كرايسيس" في بوينس آيرس في سبعينيات القرن الماضي، تلقّى الكاتب إيدواردو غاليانو اتصالاً هاتفياً من شخص ما ينتمي لمنظمة تُدعى "التحالف المعادي للشيوعية"، وهي عصابة مسلحة غير شرعية. قال المتصل للكاتب: "سنقتلكم جميعاً يا أبناء العاهرات. فردّ عليه إيدواردو بكل هدوء: "نستقبل التهديدات يا سيدي من الساعة السادسة حتى الثامنة"، ثم أغلق الخط.

رينالدو سبيتاليتا
عن جريدة EL ESPECTADOR الكولومبية
18 نيسان
ترجمة مأمون حلبي

الخوف والتهديدات في أميركا اللاتينية هما جزءٌ من تاريخها، وأداة للسلطة تستخدمها كل الأطراف لكبح الاعتراضات، فعن طريق سلاح الخوف تمّت سرقة أراضي الناس، وتمّ الدّوس على حقوق الإنسان وتحقير المبادئ الأساسية للديمقراطية والسخرية منها. "أطلِق ساقيك للريح، وإلا سيقتلونك". هكذا تقول كلمات الأغنية للمطرب الشعبي التشيلي فيكتور جارا، الذي قتل هو نفسه عام 1973 بعد أن تمّ قطع أصابعه. لقد ترعرعنا وكبرنا في كولومبيا وأشكال الخوف تُحيط بنا، بما فيها الخوف من التغيير والاختلاف، والخوف من أي شيء غير مكتوب في منظومة المعايير الموجودة.

هذا هو المناخ الذي صعدت في سياقه العصابات المتنوعة لقتلة سياسيين على مدار فترة القرن العشرين العاصفة والمضطربة من حياة البلاد، مع بروز أسماء مُنذرة بالشرّ والفجيعة كمنظمة "قاطعو الرؤوس"، وظهور ممارسات مرعبة وطرق غريبة لتقطيع الناس إلى نتف. هؤلاء الوحوش رسّخوا حكم الخوف، بل وامتدحوه ليشجعوا أنفسهم أثناء فلتانهم الجماعي الهمجي وشقّ طريقهم عبر المناطق والأحياء بذبح من يعترض سبيلهم.

جعْل الرعب وإطلاق التهديدات أمراً طبيعياً، وإدخالهما لمنظومة الثقافة المجتمعية قد خلق عمليات تهجير قسري وحالات اختفاء، وهذا ما أضعف إرادة الاحتجاج وممارسة المقاومة المدنية. كانوا يُحذّرون الناس: "أي شخص يتصرف مثل نعجة سوداء محلية عليه أن ينتظر أن ينتهي في المسلخ".

في مكان آخر، يُذكرنا بابلو نيرودا، الشاعر التشيلي، بحضور الخوف في ديوانه "النشيد الشامل": طَرقٌ قويٌ على الباب الهادئ/ الهاوية أو الوميض الذي ابتلع القاتل/ عندما تنبح الكلاب ويصل رجال الشرطة القساة بين أُناس نيام/ ليضفروا بشكل شرس خيوط الدموع/ وينتزعوها من الرموش المذعورة".

لقد حَلّ الخوف والتهديدات -المبطنة في بعض الأحيان، لكن المباشرة في الغالب ودون رتوش- مكان المحاججة السياسية، وهذا يُمثل إحدى مكائد القمع التي يستخدمها الجلادون ليمنعوا الاعتراض على شيوع الفظاعات. إن ثني الناس عن الشّجب أو صياغة الانتقادات يتحوّل إلى استراتيجية، وتلك هي الطريقة التي يفرض فيها "الخوف من الخسران" نفسه. فالأفضل، حسب اعتقاد الناس، أن يبقى المرء هادئاً في الوقت الذي يُداس عليه.

في بيئة يسودها الاضطهاد، لم يَعُد الواقع مقولة موضوعية، وتحتوي الذاتية السائدة على المكونات التي تدفع للاستنتاج أنه من الأفضل ترك الأمور كما هي، من أجل تجنب الخطر أو ما هو أسوأ. وفي وقتنا هذا، أصبحت وسائل الإعلام إجمالاً، مع اكتسابها زخماً كبيراً بفعل وسائل التواصل الاجتماعي، أداةً توسّع نشر وتعميم هكذا مخاوف.

إن ثقافتنا الحالية، ثقافة الخوف، معتادة أيضاً على استخدام سيكولوجيا الذَنْب: إن قتلوا ذاك الشخص أو طردوه من العمل أو سخروا منه "فلا بَدَّ أنه يدين لهم بشيء ما". هنا، يُصبح الضحايا كائنات فاسدة، وتصبح الجريمة والظلم والأساليب القمعية من طبيعة الأمور. ويبدو أن إعادة تجسيد المكارثية تُفلح في كل مكان تتراجع فيه الثقافة السياسية ويكثر الخوف.

لقد قالوا إن كان الكفاح من أجل الحرية يرتب مخاطر كبيرة على المناضلين، فإن الظلم يحتاج لزرع الخوف من الموت الجسدي أو التهديد بالعنف. "إن كنت مصراً على رسم لوحاتٍ كاريكاتيرية تسخر من نظام ما أو من قادته فسنقتلك. إن واصلت الغناء ضد الجلادين فسنقطع رأسك". الخوف من الموت يُزود الطغاة بوسيلة لِكَمّ الأفواه تتجاوز الوسائل المادية.

لنطلق عليها وصف مُخيلة الرعب، المخيلة التي تشتمل على الخوف من عدم الامتثال والتفريق بين الأمور، والخوف من التفرّد. من أجل هذا، علينا أن نُغنّي جنباً إلى جنب مع فيوليتا بارا، المغنية التشيلية الراحلة عام 1976: "**لا الرصاص يخيفنا، ولا تُرعبنا كلاب الصيد النباحة**".

نزار الأسعد من سنوات الجوع إلى الشبع

المشفى التي شيدها الأسعد في مدينة دريكيش وفي الأسفل يظهر إلى جانب بشار الأسد

من بين الأسماء السورية التي شكّلت غالبية في قائمة الأسماء التي وقّع الرئيس اللبناني ميشيل عون مرسوم تجنيسها مُؤخراً، كان لافتاً ظهور اسمي ابنتي نزار الأسعد رجل النفط السوري فاحش الثراء، ندى وميا، وبعد أن سبقهما الأب بالحصول على الجنسية بمرسوم من الرئيس اللبناني السابق ميشيل سليمان.

بلا شك تُعدّ الجنسية اللبنانية، بالنسبة للثلاثة، مجرد إجراء يُسهّل إدارة أعمالهم وممتلكاتهم المُسجلة في لبنان، ووسيلة تهرّب ضريبي وغسيل أموال ما تزال تُثير لعاب الأسعد، رغم تصنيفه ضمن أغنى مئة شخص سوري قبل سنوات، وربما تكون خطوة استباقية تزيد فرص فوزه وابنتيه بحصص وازنة من نفط لبنان البحري الواعد.

يحمل الأسعد الجنسية الكندية، ويتمتع بامتيازاتها كاملة، غير أنها لا تنفع مع نمط الأعمال الذي اعتاد عليه، بل تُلزمه في حالات كثيرة بالتقيّد بالقوانين التي طالما خرقها في مسيرة أعماله الطويلة والمتشعبة التي امتدت لدول عدة، من سورية إلى الإمارات إلى الجزائر، وإلى لبنان بالطبع كغرفة مخصصة للعمليات القذرة.

في سبعينات القرن الماضي، كان نزار طالباً جامعياً مُعدماً وشبه متسول، لا يكاد يجد ما يأكله أو يلبسه إلا من فضلات زملاء أثرياء التصق بهم، وكان يعجز حتى عن تأمين أجرة السفر لزيارة أمه في ضيعة عين جاش التابعة لدريكيش في ريف طرطوس.

لكن حالة الجوع والتسوّل تلك لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما أسعفه زوج خالته، مدير عام مؤسسة التبغ والتنباك آنذاك، محمد مخلوف، بفرصة سيستغلها على أبرع وأكمل صورة.

فبرزت مواهب الأسعد في تسهيل الفوز على مقاولين من آباء وأشقاء زملائه في الجامعة، بمناقصات حكومية بدأت في البناء على أطراف دمشق، مقابل مبالغ ازدادت بالتدريج مرة بعد مرة، وإلى حين أصبح السمسار الأول بين مخلوف ورجال أعمال أثرياء بالوراثة، من مدن دمشق وحمص وحلب، كانت لهم النسبة العظمى من رأس المال السوري الخاص. وقبل أن ينازعهم فيها رجال الحلقة العليا في طغمة حافظ الأسد، بالسمسرة والأتاوات والرشاوى آخر السبعينات، ثم بالشراكة الإجبارية أو الطوعية ابتداء من مطلع العقد اللاحق.

حينها فتحت حقول نفط دير الزور المكتشفة حديثاً آفاقاً جديدة لنزار، فأسس مع محمد مخلوف وشقيق زوجة مخلوف غسان مهنا، الموظف في وزارة النفط، شركة (LEAD) للخدمات والإنشاءات النفطية التي احتكرت العقود الكبرى مع الشركات الأجنبية، لتتضخم ثروة الأسعد بسرعة قياسية، ويتحول إلى رجل النفط الأول في سورية، وإلى حين بلغ الأولاد رامي وإيهاب وحافظ محمد مخلوف أشدّهم، ومع حفظ حصص باسل وبشار وماهر الأسد حتى اليوم.

في التسعينات انقلب الحال بمن كانوا يُشغّلون الأسعد من الأثرياء، فعيّن بعضهم موظفين في شركاته المتعددة، ربما إذلالاً لهم، أو انتقاماً من تاريخه الخاص، الذي يُحاول محوه عبر شائعات يطلقها عن عراقة عائلته واحترافها صناعة وتجارة الحرير.

في العام 2000 افتتح نزار برفقة وزير الصحة مشفى عاماً في مدينة دريكيش، بناه على نفقته الخاصة "تقدمة عن روح" والدته جميلة مهنا، وهي تستحق هذه التقدمة بما أتاحته لابنها عبر ابنة عمها زوجة محمد مخلوف.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

مخيمات النازحين في ريف ادلب الجنوبي

عدسة اسماعيل عبدالرحمن - خاص عين المدينة

عدسة مسلم سيد عيسى - وكالة قمرة - أرشيف عين المدينة